

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

■ أسرار الحجّ



الشيخ حبيب الكاظمي



أسرار الحجّ

الشيخ حبيب الكاظمي

الطبعة: الأولى. ١٤٣٨ هـ

الناشر: نور المعارف

تصميم الغلاف: محمد مهدي ميرزايي

الإخراج الفني: محمد علي الخفاجي

المطبعة: مطبعة مؤسسة بوستان كتاب

الكمية: ٣٠٠٠ عدد

١٠٠٠٠ تومان

نور المعارف للطباعة والنشر:

ايران: قم ، شارع معلم ، مجمع ناشران ، رقم ٥٠٨
الهاتف: ٩٨٢٥٣٧٨٤١١٣٣+ الجوال: ٩٨٩١٠١١٠٤٥٣٨+

مراكز التوزيع:

ايران: قم ، شارع سميّة ، فرع ١٢ ، حوزة الأطهار (ع) التخصصية
الهاتف: ٩٨٢٥٣٧٧٤٥٢٨١+

النجف الأشرف: شارع الإمام الصادق (ع) ، فرع مصرف الرشيد ،

مجمع المعارف الثقافي ، الهاتف: ٧٨٠٩١٨٠٤١٥.

لبنان: بيروت ، الرويس ، شارع الرويس ، بناية ناصر ، دار الولاء

الهاتف: ٩٦١١٥٤٥١٣٣+ الجوال: ٩٦١٣٦٨٩٤٩٦+



قائمة الكتاب

- أ مقدمه الناشر
- ج مقدمة الكتاب
- الفصل الأول:
- ١ التهيؤ النفسي للوفادة على الرحمن
- الفصل الثاني:
- ٣٩ الآداب الروحية في الميقات
- الفصل الثالث:
- ٥١ الآداب الروحية في المسجد الحرام
- الفصل الرابع:
- ٧٥ الآداب الروحية في المناسك
- الفصل الخامس:
- ٨٧ الآداب الروحية في المدينة
- الفصل السادس:
- ٩٥ آداب وتأملات في ختام الحج

مقدمه الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله الأمين وآله الطيبين
الطاهرين

في خضم التسارع التكنولوجي وتعدد وسائل الأتصال أمسى القارئ بأمس
الحاجة إلى المناهل الرصينة التي يستقي منها المدد الفكري المتمثل
بالمنشورات المكتوبة والتي لاتزال لها الصدارة عند المثقف العربي.

مهمة التصدي لتوفير المناهل العلمية والمصادر الفكرية مسؤولية
لابد من التصدي لها بشكل مدروس للحفاظ على التراث الفكري
وتطوير الأطروحة العلمية وتقديمها بأيسر سبلها وأبهى صورها للقارئ
الكريم.

وقد أخذت مؤسسة نور المعارف هذه المسؤولية بالتصدي لنشر الكتب
الأخلاقية والدينية التي يحتاجها القارئ الكريم لاسيما في هذا الوقت
الذي كثر فيه التأليف وتعددت مصادر النشر حتى أمسى القارئ أمام
آلاف العناوين المطبوعة لا يعلم غثها عن سمينها مع غياب الرقابة العلمية
الرصينة التي تحمل في صميمها المسؤولية الشرعية والأخلاقية في تقديم
المائدة الفكرية للقراء الكرام.



أبرار الحج

مقدمه الناشر

ان منهج مؤسسة نور المعارف في التواصل مع القارئ الكريم يتمثل في الأمانة بتقديم الكتب الرصينة والاطروحات الفكرية التي تنبثق من فكر آل محمد ص تحت أشرف دقيق ومراجعة لكل ما يحمله الكتاب المنشور من أطروحة فكرية.

حيث نقدم في هذا الموسم للقارئ الكريم مجموعة عناوين لكتب جديدة بأطروحة فكرية سلسة يأنس بها المطلع ويحصد من كنوزها ما يسعه اناءه.

وبين يدي القارئ الكريم نقدم هذه المجموعة لمؤلفها سماحة المربي الشيخ حبيب الكاظمي في العناوين التالية:

- أسرار الحج
- أسرار الصلاة
- أسرار الصيام

ونعد القارئ الكريم بمزيد من الطبقات الأخلاقية والفكرية التي ستقدمها مؤسسة نور المعارف سائلين المولى أن يجعلنا من الذين يحملون شعلة الفكر المحمدي لطالبيه آمليين أن نكون عند حسن ظن القارئ الكريم.

دارنور المعارف



مقدمة الكتاب



الحج

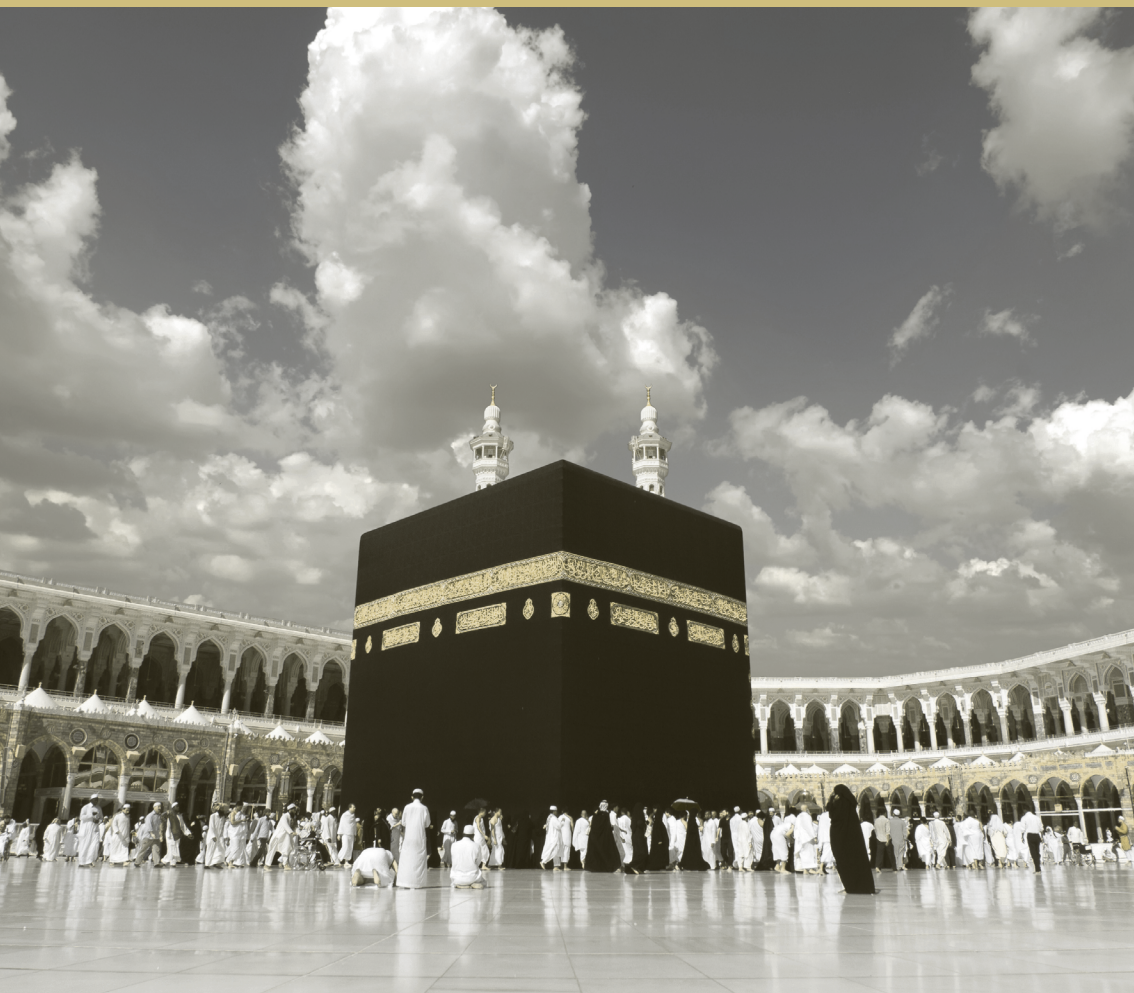
مقدمة الكتاب

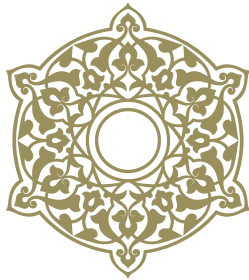
إن الحديث عن الحج حديث يهم الجميع، سواءً لمن وُقِّقَ للحج أو لم يوفق، فإنَّ معرفة لذة هذا السفر الإلهي لمن موجبات انقداح الشوق ولو في مستقبل الأيام، ومن جهة أخرى فإن الاطلاع على أسرار الحج، لمن موجبات استيعاب معالم هذا الطريق كما يريده صاحب البيت، والعمدة في ذلك أن يقصد الحاج صاحب البيت، ولا يقنع بلمس الحجارة وتقيلها.. وليُعلم أنَّ بعض بركات الحج لا يتجلى إلَّا عند انكشاف الحُجْبِ عن العبد يوم القيامة، فقد سأل موسى عليه السلام عن ثواب حج هذا البيت بنية صادقة، ونفقة طيبة، فجاء الخطاب الإلهي: «أَجْعَلُهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَحَسَنَ أَوْلِيَّكَ رَفِيقًا»^(١).

إنَّ الهدف من هذا الكتاب - على اختصاره - أن يتحقق للحجاج اعتكاف روحي، ليرجع من الحج وهو إنسان جديد بملكات حميدة، وصفات إيمانية راسخة، وعزم على إتقان الواجب وترك الحرام بكل صوره.

١. من لايحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٣٦.

الفصل الأول:
التهيؤ النفسي للوفادة على الرحمن







أحكام الحج

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوقفة على الرحمن

أهمية الحديث عن الحج

١- إن الحديث عن الحج حديث يهم الجميع، سواء لمن أراد الحج أو من لم يرد الحج، ومن هنا فإن من الطبيعي أن يعيش المسلم في أئمة بقعة من بقاع الأرض مع الحجاج بمشاعره، فيتمنى أن يكون في مواقعهم.. وعليه فإن الحديث عن الحج حديث ممتع، سواء لمن وفق أو لم يوفق، أضف إلى أن معرفة الآداب الباطنية للحج لها معرفة نافعة، لأن الإنسان من الممكن إن لم يحج في هذه السنة أن يحج في سنة أخرى. وما نقوله في الحج ينطبق أيضا على العمرة، حيث إن الفارق بين العمرة والحج هو في «الوقوف بعرفات، والمبيت بمنى، والذبح والرمي» وإلا فإن «آداب الحرمين، والطواف، والسعي، والتلبية، والميقات، والإحرام» لها نسك مشتركة بين الحجاج والمعتمر.

الحج عملية قصد بوعي

٢- لا بد من معرفة أن الحج عملية قصدية، فحج البيت الحرام يعني قصده، والذي لا قصد له فإنه لا يسمى حاجًا.. وعليه فإن من يريد أن يكون حاجًا حجة زاكية متقبله، لا بد له أن يعيش هذه القصد بلوازمها، فهل يمكن قصد هذه المشاهد العظام من دون أن ينقذ شوق إلى أصحابها، والمتمثل بالشوق تارة إلى المبدأ الأعلى كما في المسجد الحرام، وتارة إلى وسائله فيضه كما في المدينة المنورة!؟

والقصد في كل أمر تعبدية أمر أساسي، حيث إنّه يجب على العبد أن يأتي بقصد القرية فيما أمر به المولى تعبدًا كالصلاة، و الطهور، و الحج، والخمس، وأمثالها، فإنّ هذه الأمور من دون قصد و إرادة واعية، لا تقرب العبد إلى ربه لوضوح أنّ كل شيء في جنب الله تعالى لا يُعبأ به، وإنما يعتد به إذا كان منتسبًا إليه، فأيّ وزن لما قيس إلى جانب العزة والجلال!؟



بل لا بد من الترقى من هذا القصد الذي يتحقق أثناء المناسك إلى ما يعم جميع مرافق الحياة، وذلك عند الرجوع من هذه المشاهد ألا وهو رجاء لقاء رب العالمين، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١) فإنّ القرآن بذلك يفتح لنا أفقا أعلى في عالم العبودية بين يدي الله تعالى، ألا وهو وصول العبد إلى درجة لقاء ربه في ختام مطاف مسيرته التكاملية، وهو متيسر بدرجة من الدرجات في دار الدنيا، وإن كان معناه الأتم إنما يتحقق يوم القيامة.

ومن مجموع ما ذكر يُعلم أنّ الهبات الإلهية للحجاج ليست على درجة واحدة، بل هي متفاوتة بحسب قابليات العباد، كما أنّ الأمر كذلك في جميع الأجور الموعودة بها في الروايات.

ومما يدل على هذا المعنى ما روي عن الصادق عليه السلام: «الحَاجُّ يَصْدُرُونَ عَلَيَّ ثَلَاثِ أَصْنَافٍ: صِنْفٌ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ، وَصِنْفٌ يُخْرَجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَصِنْفٌ يُحْفَظُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَذَلِكَ أَذْنَى مَا يَرْجِعُ بِهِ الْحَاجُّ»^(١).

قصد صاحب البيت

٣- إن الذي يريد الحج أو العمرة، عليه أن يقصد صاحب البيت، متعرِّفاً عليه قبل الذهاب إلى بيته، فنحن لا نذهب لتلمس الحجاره ونقبلها، حيث إنّ الأمر أعمق من ذلك، فعندما جاء الأمر الإلهي لإبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذْ نَادَى فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تَوَكُّبُ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(٢) فإنه لم يناد ليطوفوا حول هذه الحجاره الصماء التي لا تسمن ولا تغني شيئاً، بل أراد إبراهيم عليه السلام - بطلب من ربه - أن نتعرف على أسرار هذا البيت، مقدمة للأنس بصاحبه.

فالإنسان عندما يطوف حول الكعبة مثلاً، عليه أن يستحضر حقيقة مركزية الله تعالى لعالم الوجود، بمعنى مرجعية أوامره ونواهيته في جميع خلقه، فالطائف حول الكعبة يطوف ببدنه حول مركز واحد، فليبتدكر حال طوافه أنّ عليه أن يجعل لروحه محوراً ثابتاً في حياته، فلا يطوف



الحج

١. ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، ص ٤٨.

٢. الحج/٢٧.

يومًا حول محور مال أو جاه أو ذات، بل عليه أن يجعل لنفسه محورًا إليها واحدًا، وذلك من أول بلوغه إلى ساعة لقاء ربه.

جذور الكعبة في التاريخ

٤- إن مكة ليست نقطة جغرافية متعارفة كباقي بقاع الأرض، بل إنَّها بقعة متميزة حتى في التكوين المادي لها في هذه الكرة الدوارة، حيث إنَّ هناك يومًا في السنة بعنوان يوم دحو الأرض وهو اليوم الذي دحيت فيه الأرض، وتشكلت من تحتها الكعبة، وقد دلت الدراسات على أن منطقة مكة هي أقدم بقعة من بقاع الأرض، وفيها حالة من الاستقرار والسكون من حيث الزلازل والبراكين، وذلك لعدم طرؤ المتغيرات التي تعترى الطبقات غير المستقرة فيها.



أضف إلى ذلك فإنَّ لمكة تاريخًا ممتدًا مع امتداد تاريخ الأنبياء عليهم السلام وذلك منذ زمان أبينا آدم عليه السلام، فأغلب الأنبياء أو كثير منهم لهم مواقف مع هذه الكعبة كما يُفهم من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾^(١) فإنه يفيد أنَّ هذه القاعدة كانت موجودة، وإنَّما جاء إبراهيم الخليل عليه السلام ليرفع هذا البناء المبارك فوق تلك القاعدة، ومما يدل على قِدَم هذا البيت العتيق، ما روي عن الصادق عليه السلام: «لَمَّا أَفَاضَ آدَمُ مِنْ مَنَى، تَلَقَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ، فَقَالُوا: يَا آدَمُ، بُرِّحْ حُجَّكَ، أَمَا إِنَّهُ قَدْ حَجَّجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَ أَنْ تَحْجَّجَهُ بِالْفَنِيِّ عَامٍ»^(٢).

١. البقرة/١٢٧.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٣١.

التزود للعمر كله

٥- إنَّ الحاج يريد أن يتزود من بركات الحج لا لسنة كاملة، بل لتمام العمر، حيث إن للحج قابلية التأثير على مسيرة العبد مدى عمره كله، وذلك فيما لو أتى به كما أرادَه اللهُ تعالى له.. فالصوم مثلا يتجدد في كل عام مرة واحدة، والصلاة تتجدد في اليوم خمس مرات، والخمس يتجدد مرة في كل عام، مما يفهم من مجموع ذلك، أنَّه لا بد من تجديد الإتيان بهذه العبادات وتكرارها، ترسيخا لآثارها في كل مرحلة زمنية، ولكن العبادة التي يجب أن يؤديها العبد في العمر مرة واحدة هو الحج، فلو أن الإنسان حج حجة إبراهيمية مقبولة، فإن أثرها يمتد إلى آخر عمره، فهي بمثابة دواء الوقاية والتي فيها الحصانة من المرض إلى آخر العمر، ولو لزمَت هذه الجرعة الروحية أكثر من ذلك، لأوجب اللهُ تعالى الحج في العمر أكثر من مرة تحقيقا لكمال عبده.



أثر الحج

ومع ما قلناه فإن ذلك لا ينافي أن يجعل الإنسان لنفسه محطات للحج طوال عمره قدر استطاعته، فإن ما يكتسبه من البركات فيها لا يمكن أن يكتسبه في عبادة أخرى، وطوبى لمن تحول عنده الحج إلى حالة من حالات إدمان الروح على شراب الباطن، فقد روي عن الإمام الباقر أو الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ حَجَّ ثَلَاثَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةً، ثُمَّ حَجَّ أَوْ لَمْ يَحَجَّ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مُدْمِنِ الْحُبِّ»^(١) كما روي: «أَنْ مُدْمِنَ الْحُبِّ الَّذِي إِذَا وَجَدَ الْحَجَّ حَجَّ، كَمَا أَنَّ مُدْمِنَ الْخُمْرِ الَّذِي إِذَا وَجَدَهُ شَرِبَهُ»^(٢)، كما روي «فَإِنَّ فِي إِدْمَانِكُمُ الْحَجَّ دَفْعَ مَكَارِهِ الدُّنْيَا»^(٣).

١. الكافي، ج ٩، ص ٢٢٦.

٢. الكافي، ج ٩، ص ٢٢٦.

٣. الأمالي (للطوسي)، ص ٦٦٨.

اتساع الرزق

٦- إن الذي يتوفق للحج ليتوقع السعة في ماله كما ورد في الروايات: «حُجُّوا تَسْتَعْنُوا»^(١) و«تَسْبِعْ أَرْزَاقَكُمْ»^(٢) و«الْحُجُّ يَنْفِي الْفَقْرَ»^(٣) ولكن قد يقول قائل: بأنني ذهبت إلى الحج ورجعت وما زاد مالي بل ابتليت بنقص فيه!.

و الجواب: إنَّ العبد الغافل عما كُتِبَ له في اللوح المحفوظ لا يعلم كم من البلاء الذي دُفِعَ عنه - بسبب هذه الحجة - والذي لو حل به لكلفه الكثير من المال، أضف إلى أنَّ الرزق في الكتاب والسنة يعم المال وغيره، فاليقين الباطني على رأس الأرزاق، وتتلوه الزوجة الصالحة، حيث ورد أنه لم يرزق الرجل بعد الإيمان أفضل من زوجة صالحة، ثم الذرية الطيبة، والتوفيق للصدقة الجارية، والعلم الذي ينتفع به.

وبعبارة جامعة فإن الحج سوق من أسواق الآخرة، من دخلها بصدق وعزم خرج منها بأعظم الأرباح، وهو ما بينه الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: «الْحُجُّ وَالْعُمْرَةُ سُوقَانِ مِنْ أَسْوَاقِ الْآخِرَةِ، الْعَامِلُ بِهِمَا فِي جِوَارِ اللَّهِ»^(٤).

ثم إنَّ نية الحج والعمل عليها والموجب لسعة الرزق، يعم فيما لو نوى العبد أن يحج غيره بماله، فإنَّ الدال على الخير كفاعله، فهذا السائل يسأل الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: إني قد وطّنت نفسي على لزوم الحج كل



١. وسائل الشيعه، ج ١١، ص ١٢.

٢. «حُجُّوا وَاعْتَمِرُوا تَصِبْحَ أَيْدَانِكُمْ، وَتَسْبِعْ أَرْزَاقَكُمْ»: الكافي، ج ٨، ص ١٧٨.

٣. تحف العقول، ص ٧.

٤. وسائل الشيعه، ج ١١، ص ١٠١.

عام بنفسني، أو برجل من أهل بيتي بمالي؟ فقال: وقد عزمت على ذلك؟!..
قلت: نعم، قال: «إِنْ فَعَلْتَ فَأَبَشِّرْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ»^(١).

الفرار بالحج

٧- لقد أمرنا جميعاً أن نفر إلى الله تعالى حيث قال في كتابه: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾^(٢) وعليه فمن المناسب لمن أراد امتثالاً لهذه الآية الكريمة أن يجعل عبادة الحج فراراً إلى الله تعالى بكل معنى الكلمة، وهو ما فسره الإمام أبو جعفر عليه السلام بالحج حيث قال: «حُجُّوا إِلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ»^(٣). وقد جعل الإمام السجاد عليه السلام حق الحج على صاحبه - في رسالة الحقوق - أنه وفادة وفرار، حيث يقول: «حَقُّ الْحُجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنََّّهُ وَفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ، وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ دُنُوبِكَ»^(٤).

ومن الحركات التي يمكن أن يأتي بها الحاج - إظهاراً لهذا المعنى الباطني - هو التعلق بأستار الكعبة كتعلق الفقير بأذيال الكريم، فمن أراد الذهاب إلى سلطان يخشى من منعه، ألا يتشبث بثوبه استكانة ووجلاً؟!.. وكذلك الأمر عند الكعبة، فليتشبث بستار البيت، مظهرًا ذلته وعجزه بين يدي الله عز وجل، وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام عندما سأله أحدهم: فالرجل يتعلق بأستار الكعبة ما يعني بذلك؟.. فقال عليه السلام: «مَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ الرَّجُلِ يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّجُلِ جَنَائِيَّةً، فَيَتَعَلَّقُ بِثَوْبِهِ يَسْتَحْذِي لَهُ، رَجَاءً أَنْ يَهَبَ لَهُ جُرْمَهُ»^(٥).



أحكام الحج

التفصيل الأول: التهيؤ النفسي للوفادة على الرحمن

١. مرآة العقول، ج ١٧، ص ١٢٣.

٢. الذاريات/٥٠.

٣. الكافي، ج ٨، ص ١٩٠.

٤. الأمالي (للصديق)، ص ٣٦٩.

٥. علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٤٣.

تعريف جامع للحج

٨- إن من تعاريف الحج الجميلة: هو هذا التعريف لفقهاء من فقهاء الطائفة ألا وهو صاحب الجواهر، حيث يقول عن الحج إنّه: «الحج الذي هو من أعظم شعائر الإسلام، وأفضل ما يتقرب به الأنام إلى الملك العلام، لما فيه من إذلال النفس وإتباع البدن، وهجران الأهل والتغرّب عن الوطن، ورفض العادات، وترك اللذات والشهوات والمنافرات والمكروهات، وإنفاق المال وشدّ الرحال، وتحمل مشاق الحل والارتحال ومقاسات الأهوال، والابتلاء بمعاشرة السفلة والأنذال، فهو حينئذٍ رياضة نفسانية، وطاعة مالية وعبادة بدنية، قولية وفعلية وجودية وعدمية، وهذا الجمع من خواص الحج من العبادات التي ليس فيها أجمع من الصلاة، وهي لم تجتمع فيها ما اجتمع في الحج من فنون الطاعات، ومن هنا ورد أن الحج المبرور لا يعدله شيء ولا جزاء له إلا الجنة، وإنه أفضل من عتق سبعين رقبة»^(١).



فالعبد على هذا البيان يقوم بأفعال وجودية كالطواف والسعي، وأفعال تروكية عدمية كتروك الإحرام، فهل هناك تركيبة أجمع من هذه التركيبة، الجامعة لمجاهدات الروح ومشاق البدن!؟

ومن هنا فإنه ليس هناك عمل يسد مسد هذا السفر الإلهي الذي بيّن لنا النبي ﷺ قدره، عندما تلقّاه أعرابي في الأبطح فقال: يا رسول الله!.. إني خرجت أريد الحجّ فعاقني عائقٌ، وأنا رجلٌ مليءٌ كثير المال، فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ ما بلغ الحاج، فالتفت رسول الله ﷺ إلى أبي قبيس

فقال: «لَوْ أَنَّ أَبَا قُبَيْسٍ لَكَ زَيْنَةٌ ذَهَبَةٌ سَمَّاءُ أُنْفَقَتْهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا بَلَغَتْ مَا بَلَغَ الْحَاجُّ»^(١).

الفرق بين الملك والملكوت

٩- إنَّ للشريعة ظاهرةً وباطناً، ومن هنا فإن الله تعالى يبين نعمته على إبراهيم عليه السلام حيث أراه ملكوت السماوات والأرض قائلاً: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢) ولهذا فإن على العبد المتأمل في وظائف العبودية، أن ينتقل من عالم الملك إلى الملكوت في كل صغيرة وكبيرة، وتطبيقاً لذلك نقول: إن للحرام ملكوتا كأكل الميتة عند الاغتيا ب، وللصلاة ملكوتا أأ وهي المعراجية والقربانية، وكذلك للحج ملكوت بل إنَّها من أكثر العبادات رمزية، بمعنى إنَّه لا بد من العبور من أحكامها الملكية إلى بواطنها الملكوتية، فإن الحجاج بطوافهم وبسعيهم، ورميهم وذبحهم، وحلقهم وتقصيرهم، ووقوفهم ومبيتهم يبرزون معنى من المعاني، وإلَّا فإن هذه التلبية لنداء إبراهيم عليه السلام حيث يأتي الحجاج من كل فج عميق ليست لهذه الأعمال الظاهرية فحسب، لأنَّها لا تغير ساكناً في حياة الكثير منهم سوى إسقاط الواجب، ومن هنا قيل ما أكثر الضجيج وأقل الحجيج!. فإجمال الهدف من تشريع الحج -كباقي العبادات- هو إفساح المجال للعبد، ليظهر مشاعر العبودية بكل تفاصيلها لرب العزة والجلال.



الحج

١. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١١٦.

٢. الانعام/٧٥.

الاقتصاد من أجل الحج

١٠- إن البعض قد يُحرم من بركات الحج لضيق ذات يده، ولكنه لو ادخر مايسرف به طوال العام لأمكنه أن يذهب به إلى الحج الواجب والمستحب، حيث يقول الإمام الصادق عليه السلام في حديث لافته: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْكُلَ الْخُبْزَ وَ الْمِلْحَ، وَ تَحْجَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَأَفْعَلْ»^(١) فإن كل مؤمن مأمور أن يدخر شيئاً من ماله حتى يوفق للحج، فإنه لو وفر أمواله واقتصد في معيشته، لما حُرِم من هذه البركات في كل عام.. وعليه، فليجعل العبد في نفسه نية طلب الحج بنحو صادق، ويسعى بكل جهده لتحقيقها.

ومن الملاحظ في هذا المجال هو التركيز في أدعية شهر رمضان على طلب الحج، حيث تتردد هذه العبارة: «وَارْزُقْنِي حَجَّ بَيْتِكَ الْحَرَامِ، فِي عَامِي هَذَا وَ فِي كُلِّ عَامٍ»^(٢) ولزامه ذلك أنه إذا أراد الإنسان الحج، فلا بد له من الإكثار من التضرع - وخاصة في ليالي القدر المباركة - ليكتسب هذه البطاقة المربحة عند الله تعالى، بالإضافة إلى سعيه لادخار المال الموجب للاستطاعة كما في رواية^(٣) الإمام الصادق عليه السلام.

وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعض الأعمال العبادية الموجبة للتوفيق لهذا السفر العظيم، فمن المناسب - لمن اشتد شوقه إلى الحج - أن يعمل بها، فقد ورد عن الصادق عليه السلام من قال: «مَنْ قَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ أَلْفَ مَرَّةٍ فِي دَفْعَةٍ وَاحِدَةٍ، رُزِقَ الْحَجَّ مِنْ عَامِهِ، فَإِنْ لَمْ يُرْزَقْ أُخْرَهُ اللَّهُ حَتَّى يَرُزُقَهُ»^(٤)، كما ورد عن الصادق عليه السلام: «مَنْ قَالَ: أَلْفَ مَرَّةٍ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ،



١. تهذيب الاحكام، ج ٥، ص ٤٤٢.

٢. بحار الانوار، ج ٨٤، ص ٣١٨.

٣. تهذيب الاحكام، ج ٥، ص ٤٤٢: (إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأْكُلَ الْخُبْزَ وَ الْمِلْحَ وَ تَحْجَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ فَأَفْعَلْ).

٤. وسائل الشيعه، ج ٧، ص ٩٢.

رَزَقَهُ اللهُ تَعَالَى الْحَجَّ، فَإِنْ كَانَ قَدْ قَرَّبَ أَجَلَهُ، أَخَّرَ اللهُ فِي أَجَلِهِ حَتَّى يَرِزُقَهُ الْحَجَّ»^(١).

ومن المناسب أن نعلم هنا بأن من كان صادقاً في نيته إلى حج بيت الله الحرام، فإن الله تعالى سيعامله معاملة من حج فعلاً إلى بيته الحرام، فإن نية المؤمن خير من عمله، وهو تعالى مدرك لكل فوت، وجابر لكل كسر.

ومما يؤيد ذلك في هذا المجال ما ورد عن الصادق عليه السلام إنه قال: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْ شَأْنِهِ الْحُجَّ فِي كُلِّ سَنَةٍ، ثُمَّ تَخَلَّفَ سَنَةً فَلَمْ يُخْرُجْ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ هُمْ عَلَى الْأَرْضِ لِلَّذِينَ هُمْ عَلَى الْجِبَالِ: لَقَدْ فَقَدْنَا صَوْتَ فُلَانٍ، فَيَقُولُونَ: اظْلُبُوهُ!.. فَيَطْلُبُونَهُ فَلَا يُصِيبُونَهُ فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ حَبْسَهُ دَيْنٌ فَأَدِّعْ عَنْهُ، أَوْ مَرَضٌ فَاشْفِهِ، أَوْ فَتْرٌ فَأَغْنِهِمْ، أَوْ حَبْسٌ فَفَرِّجْ عَنْهُمْ، أَوْ فِعْلٌ بِهِمْ فَأَفْعَلْ بِهِمْ، وَ النَّاسُ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ وَ هُمْ يَدْعُونَ لِمَنْ تَخَلَّفَ»^(٢).

شفاعة الحاج

١١- إن أثر الحج لا يقتصر على الحاج فحسب!.. وإنما كما ورد عن الصادق عليه السلام: «فَإِنَّ الْحَاجَّ لَيُشْفَعُ فِي وُلْدِهِ وَ أَهْلِهِ وَ جِيرَانِهِ»^(٣) فإذا كان المؤمن مشفعاً بعنواني الإيماني، فكيف إذا اجتمعت فيه المزايا الأخرى من: العلم، والوفادة على الله تعالى، وغيرها من العناوين الموجبة للشفاعة، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام: عن المؤمن هل يشفع في أهله؟.. قال:

١. مستدرک الوسائل، ج ٥، ص ٣٧٢.

٢. بحار الانوار، ج ٩٦، ص ٩.

٣. مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٥٠.



أثر الحج

«نَعَمْ، الْمُؤْمِنُ يَشْفَعُ فَيَشْفَعُ»^(١) فكيف إذا اجتمعت صفة الحج مع صفة الإيمان؟!.. فقد ورد عن الإمام الكاظم عليه السلام: «مَنْ حَجَّ أَرْبَعِينَ حَجَّةً قِيلَ لَهُ: اشْفَعْ فِيمَنْ أَحْبَبْتَ، وَيُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، يَدْخُلُ مِنْهُ هُوَ وَمَنْ يَشْفَعُ لَهُ»^(٢).

واللافت هنا إنَّ تكرار التردد على هذه البقاع تعم البهائم، فإن الله تعالى يميزها عن باقي البهائم، لأنَّها كانت في خدمة حجاج بيته الحرام، بل إنَّ الإمام السجاد عليه السلام يوصي بها خيرا حين الوفاة، حيث قال لولده الباقر عليه السلام: «إِنِّي قَدْ حَجَجْتُ عَلَى نَاقَتِي هَذِهِ عِشْرِينَ حَجَّةً، فَلَمْ أَقْرَعَهَا بِسَوْطِ قَرَعَةٍ، فَإِذَا نَفَقَتْ فَادْفِنُهَا لَا يَأْكُلُ لَحْمَهَا السَّبَاعُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: مَا مِنْ بَعِيرٍ يُوقَفُ عَلَيْهِ مَوْقِفَ عَرَفَةَ سَنَّ حِجَجٍ، إِلَّا جَعَلَهُ اللَّهُ مِنْ نَعَمِ الْجَنَّةِ، وَبَارَكَ فِي نَسْلِهِ، فَلَمَّا نَفَقَتْ حَقَرَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام وَدَفَنَهَا»^(٣).



حلية المال

١٢- إن من الأمور التي ينبغي الاحتياط فيها، هي حلية المال الذي يصرف في سبيل الحج، فإن ما كان سُحْتًا فإن الله تعالى لا ينظر إليه، وكذلك ما كان مبغوضًا عنده، والشاهد على ذلك ما قدمه قاييل وهاييل، حيث قدما قربانا فتقبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر، وهذا القربان الذي كان فيه مقتضى التقرب إلى الله تعالى، صار سببًا لقتل أخيه؛ وذلك بحسده له، وفي خبر عن الإمام الباقر عليه السلام: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَجًّا وَلَا عُمْرَةً مِنْ

١. المحاسن، ج ١، ص ١٨٤.

٢. الخصال، ج ٢، ص ٥٤٨.

٣. المحاسن، ج ٢، ص ٦٣٥.

مَالٍ حَرَامٍ»^(١) والمستفاد من ذلك قاعدة عامة وهي: إنَّ المال الحرام لا ينظر
الله تعالى إليه، ولو كان في مصرف الخير كحجة إلى بيته الحرام.

وقد اجاد الشاعر في قوله:

إذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله إلا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

ولا بد هنا أن نلفت إلى أن المانع من القبول قد يكون أعم من جهة المال، بل
قد يكون العبد متورطاً بهتك مؤمن، أو غيبة مسقطه له عن أعين الناس
فيسقطه الله تعالى من عينه، ولو كان داعياً في أشرف البقاع في الحج ألا
وهي عرفة، والتي تغمر الرحمة فيها جميع الخلق فقد ورد عن النبي ﷺ:
«إِنَّ اللَّهَ تَطَوَّلَ عَلَى أَهْلِ عَرَفَاتٍ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، يَقُولُ: يَا مَلَائِكَتِي، أَنْظِرُوا
إِلَى عِبَادِي شُعْثًا غُبْرًا، أَقْبَلُوا يَضْرِبُونَ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ، فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي
قَدْ أَحْبَبْتُ دُعَاءَهُمْ، وَشَفَعْتُ رَغْبَتَهُمْ، وَوَهَبْتُ مُسِيئَتَهُمْ لِحَسَنِهِمْ، وَأَعْطَيْتُ
مُحْسِنَهُمْ جَمِيعَ مَا سَأَلَنِي غَيْرَ التَّبِعَاتِ الَّتِي بَيْنَهُمْ»^(٢).

١٣- إن الإنسان قد يحج وفي باطنه بعض الشوائب المحيطة للعمل،
ومنه إرادة غير الله تعالى في حجته: كطلب سمعة، أو اكتساب مال،
أو كسب عنوان وغيرها مما لا يعود إلى الله تعالى، وقد روي عن الإمام
السجاد عليه السلام أنه قال: «وَمَنْ حَجَّ يُرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُرِيدُ بِهِ رِيَاءً
وَلَا سُمْعَةً، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ الْبُتَّةَ»^(٣) و من علامات العمل الخالص هو أن لا تريد

١. الأُمالي (للصديق)، ص ٤٤٢.

٢. ربيع الأبرار، ج ٢، ص ٨٤٠.

٣. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢١٩.



أربع

أن يحمدك عليه أحد إلا الله عز وجل، وهو ما صار سببا لقبول إنفاق أهل البيت عليهم السلام حيث قال عنهم القرآن الكريم: ﴿لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكْرًا﴾^(١) وقد ذكر هنا صاحب الجواهر رحمته وجوها لتخلل الشرك إلى فعل العبد في الحج حيث يقول:

«ينبغي المحافظة على صحة هذه العبادة المعظمة أو لا بتصحيح النية؛ لأن الحج موضوع على الإعلان، ومعدود في هذه الأعصار من أسباب الرفعة والافتخار والأبهة والاعتبار، بل هو مما يتوصل به إلى التجارة، والانتشار ومشاهدة البلدان والأمصار، والاطلاع على أحوال الأماكن والديار، فيخشى عليه من تطرق هذه الدواعي الفاسدة المبذلة للعمل في بعض الأحوال، ولا خلاص من ذلك إلا بالإخلاص، ولا إخلاص إلا بالخلوص من شوائب العجب والرياء، والتجرد عن حب المدح والثناء، وتطهير العبادات الدينية عن التلوّث بالمقاصد الدنيوية، ولا يكون ذلك إلا بإخراج حب الدنيا من القلب، وقصر حبه على حب الله تعالى، ويكون ذلك هو الداعي إلى العمل، وهو ملاك الأمر ومدار الفضل»^(٢).



البركات المحجوبة

١٤- إن بعض بركات الحج لا يتجلى إلا عند انكشاف الحجب عن العبد يوم القيامة، فقد طلب موسى عليه السلام أن يسأل جبرائيل عليه السلام عن ثواب حج هذا البيت، بنية صادقة ونفقة طيبة، فجاء الجواب من الله تعالى: «أَجْعَلُهُ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَ

١. الانسان/٩.

٢. جواهر الكلام، ج ١٧، ص ٢١٦.

حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا»^(١).. وأيُّ شرف أعظم من أن يكون الإنسان في جوار هذه الذوات المقدسة إلى أبد الأبد.

ومن هذه البركات أيضا أن يكون الحاج موردا لمحبة الله تعالى له، ومن المعلوم إنَّها أعظم منحة في عالم الوجود، وهو ما يستفاد من رواية الإمام السجاد عليه السلام حيث دخل مكة وقد أجدب أهلها، ورأى العُباد في الحجر حول البيت يدعون، فقال: أما فيكم أحد يحبه الرحمن؟!.. فقالوا: يا فتى!.. علينا الدعاء وعليه الإجابة، فقال: ابعدوا من الكعبة، فلو كان فيكم أحد يحبه الرحمن لأجابه، ثم أتى الكعبة فخر ساجداً يقول الراوي: سمعته يقول في سجوده: سيدي!.. بحبك لي إلا سقيتهم الغيث، قال: فما استتم الكلام حتى أتاهم الغيث كأفواه القرب، فقلت: يا فتى!.. من أين علمت أنه يحبك؟!.. قال: «لَوْ لَمْ يُحِبَّنِي لَمْ يَسْتَرْزِنِي فَلَمَّا اسْتَرْزَانِي عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّنِي فَسَأَلْتُهُ بِحُبِّهِ لِي فَأَجَابَنِي»^(٢).

واللافت في هذه الرواية أنَّ الإمام السجاد عليه السلام لم يذكر محبته لله تعالى، وإنما ذكر محبة الله تعالى له، والتي يكشف عنها توفيقه لزيارة البيت، ولم يشر عليه السلام إلى مقام الولاية والإمامة عند قوم لا يعرفونه، حيث خاطبوه قائلين: يا فتى!

التعبد الشرعي

١٥- إنَّ أهمَّ إحساس ينبغي أن يعيشه الحاج هو استشعار حالة التعبد بأحكام الشريعة، فلا يرى في نفسه ثقاقلا، أو حتى استغرابا لما قد



أبرار الحج

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوقفة على الرحمن

١. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٤٤.

٢. بحار الانوار، ج ٤٦، ص ٥١.

لا يعلم حكمته وراء كل منسك من هذه النسك - وهي ليست قليلة في الحج - أضف إلى شعوره بحالة العبودية بين يدي الله تعالى حيث يتجلى في مواقف الحج لخواص عبادته فيعيش حالة الأنس بها، وإن كان ما يراه بعنوانه الأول مما لا تألفه النفوس البسيطة، فقد أبى الله تعالى إلا أن يجعل بيته في واد غير ذي زرع، مع اكتناف الأعمال والنسك فيه، بالكثير من المشاق وخاصة في العصور الغابرة.

ومن الواضح أن هذه المعاني غائبة عن ختم الله تعالى على قلبه، ونظر إلى ظاهر الحج ولم يصل إلى فلسفة وجوبه، وهو ما نفهمه من خلال ما جرى بين رأس الزندقة في زمانه - أعني أبي العوجاء - وبين الإمام الصادق عليه السلام حين قال له معترضاً:

«إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلذذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المعمور بالطوب والمدر، وتهزولون حوله هزولة البعير إذا نفر؟ إن من فكر في هذا وقدر، علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل؛ فإنك رأس هذا الأمر وسنأمة، وأبوك أسه وتأمه»^(١)... فقال أبو عبد الله عليه السلام: «إن من أضله الله وأعمى قلبه، استوحم الحق ولم يستعذبه، وصار الشيطان وليه وربّه وقربنه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدّره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فتحثهم على تعظيمه وزيارته، وجعله محل أنبيائه وقبلة للمصلين إليه، فهو شعبة من رضوانه، وطريق يؤدي إلى غفرانه»^(٢).



١. الكافي، ج ٨، ص ٣٩.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٣٩.

الاعتكاف الروحي

١٦- من اللازم أن يعيش الحاج اعتكافا روحيا في فترة سفره إلى تلك الديار المقدسة، فلا يكثر من القول، حيث جُعل الصمت عدلا للحج وذلك في رواية الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلِ الصَّمْتِ، وَ الْمُشْيِ إِلَى بَيْتِهِ»^(١) ولا ينشغل مع الغافلين في أباطيلهم، ولا يكثر من الذهاب إلى مواطن الغفلة كالأسواق وغيرها، وليكن الغالب عليه هو الذكر بأنواعه، وخاصة التوحيد منه كسورة التوحيد في مكة، أو الولا في كالصلاة على النبي وآله عليهم السلام في المدينة، فإن هذا السفر الإلهي نعم الفرصة لمثل هذا الاعتكاف الروحي، حيث الفراغ من جهة العمل وكذا من جهة الأهل والأولاد، فهي فرصة قد لا تتكرر، وللشيطان دور كبير في صدّ الحاج عن التزود من بركات هذا السفر، حيث قلّ من يصدق في دعواه إنّه استخرج رحيق هذا السفر المبارك، كما أراد المولى منه.. ولا شك إن النجاح النسبي في هذا الاعتكاف الروحي، لمن موجبات فتح باب التوفيق للإتيان إلى هذه المشاهد المقدسة بشكل متكرر، وذلك من باب الوعد الإلهي بالزيادة مع الشكر.

ومما يميز الحج عن باقي العبادات، إن فترة العبادة فيها أطول من غيرها، مما يرسخ بركات الاعتكاف التي ذكرناها آنفا، ويشير إلى هذه الحقيقة الإمام الباقر عليه السلام في قوله: «الْحُجُّ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، إِنَّمَا الْمُصَلِّي يَشْتَعِلُ عَنْ أَهْلِهِ سَاعَةً، وَإِنَّ الصَّائِمَ يَشْتَعِلُ عَنْ أَهْلِهِ بِيَاضِ يَوْمٍ، وَإِنَّ الْحَاجَّ



يُتَعَبُ بَدَنُهُ، وَيُضْحِرُ نَفْسَهُ، وَيُنْفِقُ مَالَهُ، وَيُطِيلُ الْغَيْبَةَ عَنِ أَهْلِهِ، لَا فِي مَالٍ يَرْجُوهُ، وَلَا إِلَى تِجَارَةٍ»^(١).

ومن المناسب أن نقول هنا بأنه من الممكن أن يخادع العبد شيطانه فيستمهله هذه الأيام المعدودة، متظاهرا بأنه سيرجع إلى ما كان عليه قبل الحج!.. ولكن من المعلوم أن من استقر حاله على المراقبة في هذا السفر، فإنه يرجى أن يبقى عليها حتى بعد رجوعه من هذا السفر المبارك.

تعمل المشاق

١٧- إن على الحاج أن يوطن نفسه على تحمل شيء من مشاق هذا السفر، فإن الله تعالى أراد من عبده أن يؤدي هذه الشعائر مقترنة بشيء من تحمل الأذى، إظهارا لكمال عبوديته فيها.. ومن المعلوم أن هناك فرقا بين من يتحمل أذى السفر في هذا السبيل، وبين من يلتذ بمشاقه، من باب أنه مقرب لمولاه، وموجب لمضاعفة الأجر له، فإن من أحب أحدا تحمل المصاعب من أجل الوصول إليه، بل أن بعض الحجاج يتعمد أن يحتمل نفسه شيئا من المشقة - التي تطاق في هذا السفر - من باب أن أفضل الأعمال أحمرها، بمعنى أشقها على النفس، ولكن بشرط عدم النفور من الأعمال والمناسك.

والأدب الجامع في هذا الباب - والذي يدعو الحاج لتحمل المشاق في سفره - هو إحساسه العميق بأنه في ضيافة الله تعالى، وإن كل ما يصيبه في هذا الطريق إنما هو بعينه، وبالتالي سيقع أجره عليه.



ومما يبين لنا هذه الحالة من الإحساس بالضيافة الإلهية، ما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام من حال أحدهم، وذلك حينما دَخَلَ إنيلاً مَكَّةَ في بعضِ حَوَائِجِهِ، فَوَجَدَ أعرابياً مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ وَهُوَ يَقُولُ: يا صَاحِبَ البَيْتِ، البَيْتُ بَيْتُكَ، والضَيْفُ ضَيْفُكَ، وَلِكُلِّ ضَيْفٍ مِنْ ضَيْفِهِ قِرَى، فَاجْعَلْ قِرَايَ مِنْكَ اللَّيْلَةَ المَغْفِرَةَ، فَقَالَ أميرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام لِأَصْحَابِهِ: «أما تَسْمَعُونَ كَلَامَ الأعرابِيِّ؟! قالوا: نَعَمْ، فقال: اللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ ضَيْفَهُ»^(١).

أسرار العبادات

١٨- إن لكل عبادة من العبادات في الشريعة أحكاماً ظاهرية، وهي التي يتناولها الفقهاء في كتبهم الفقهية، كالرسائل العملية وغيرها، ولكن بموازاة هذه الأحكام الظاهرية هنالك أحكام باطنية تسمى أسرار تلك العبادة، وهذا ليس من بدع القول، حيث إن علماءنا السلف كتبوا حول أسرار الصلاة والحج وغيرهما، مما يفهم من مجموع ذلك، أنهم أرادوا من خلال هذه التصنيفات، أن يؤكدوا على هذه الحقيقة: أي وجود حقيقة أخرى ما وراء هذا الفقه الظاهري، وأدل دليل وجداني على هذه الدعوى، أن البعض ممن يكتفي بالحركات الظاهرية للعبادات، و الخالية من الجوهر المعنوي فيها، لا يرى أثرًا جوهريًا لعبادته، ولا انقلاباً ذاتياً في حركة حياته، فيرجع من الحج من دون تغيير واقعي في سلوكه الخارجي وملكاته الباطنية، أضف إلى ذلك أنه ما من شك إنَّ للصلاة حقيقة متمثلة بالمعراجية المختصة بالعباد الخاشعين، والنبى صلوات الله عليه وآله عندما يقارن



أَسْرَارُ الحَجِّ

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوقادة على الرحمن

بين الحج والصلاة، يرى تقدماً للحج من جهة أن فيه صلاة وزيادة، فقد روي عنه عليه السلام: «إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَفْضَلَ مِنَ الْحُجِّ إِلَّا الصَّلَاةُ، وَفِي الْحُجِّ هَاهُنَا صَلَاةٌ، وَلَيْسَ فِي الصَّلَاةِ قَبْلَكُمْ حَجٌّ»^(١).

وقد ربطت الروايات بين قبول الأعمال، وبين تحقق حالة التقوى الباطنية كقاعدة عامة جارية في كل العبادات، فعن الصادق عليه السلام: «مَا يُعْبَأُ بِمَنْ يَوْمَ هَذَا الْبَيْتِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ خِصَالٌ ثَلَاثٌ حَلَمٌ يَمْلِكُ بِهِ عَضْبَهُ وَحُلُقٌ يُحَالِقُ بِهِ مَنْ صَحْبَهُ وَوَرَعٌ يُحْجِزُهُ عَنِ مَعَاصِي اللَّهِ»^(٢).

وهذا المعنى ورد ذكره في القرآن الكريم بعنوانه الجامع الساري في كل العبادات، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

التفقه قبل الحج

١٩- من المناسب أن يأخذ الحاج دورة علمية وثقافية قبل الذهاب إلى الحج، فإن الإتيان بالنسك حين الحج، قد يلهيه عن مثل هذا الاطلاع الشامل، وذلك من خلال المصادر المتناولة لأسرار الحج وأحكامها الفقهية، وخاصة تلك المصادر الرئيسية المفصلة، والتي تطرح الكثير من الروايات المبينة لأسرار هذا السفر المقدس، وقد يكون من المناسب لبعضهم أن يأخذ إجازة من عمله قبل الموسم، وذلك من أجل الاطلاع على ما ذكر، أضف إلى امتلاك حالة برزخية قبل السفر، فيحاول أن يقترب شيئاً فشيئاً من تلك الأجواء المباركة، وذلك قبل الذهاب إليها.



١. الكافي، ج ٨، ص ١٨٢.

٢. تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤٤٥.

٣. المائدة/٢٧.

وقد أشار فقيه الفقهاء، صاحب الجواهر رحمته الله لهذا الأمر في جواهره قائلاً:

«كما أنه ينبغي التفقه في الحج، فإنه كثير الأجزاء، جمّ المطالب، وافر المقاصد، وهو مع ذلك غير مأنوس وغير متكرر، وأكثر الناس يأتونه على ضجر وملاحة سفر، وضيق وقت واشتغال قلب، مع أن الناس لا يحسنون العبادات المتكررة اليومية مثل الطهارة والصلاة مع الفهم لها، ومداومتهم عليها، وكثرة العارفين بها، حتى أن الرجل منهم يمضي عليه الخمسون سنة وأكثر، ولا يُحسن الوضوء فضلاً عن الصلاة، فكيف بالحج الذي هو عبادة غريبة غير مألوفة، لا عهد للمكلف بها، مع كثرة مسألتها، وتشعب أحكامها، وكونها أطولها ذبلاً، وخصوصاً مع انضمام الطهارة والصلاة إليها، لشرطية الأولى وجزئية الثانية، فإن الخطب بذلك يعظم»^(١).



أحكام الحج

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوفادة على الرحمن

الاستحلال من الغير

٢٠- إن على الحاج قبل أن يخرج من بلده، أن يقوم بما عليه من الاستحلال أي طلب الحلية من الخلق، سواء من التبعات (المالية) كما لو أتلف مال مؤمن، أو كان لله تعالى عليه حق في خمس أو زكاة، أو (الأخلاقية) كهتك عرض مؤمن أو غيبته، فإن عليه الاستحلال منهم - وخاصة الأرحام - ولو بنحو الإجمال من دون ذكر تفاصيلها، لئلا يثير ضغينتهم، وأما في موارد الحقوق المالية التي لا يعلم أصحابها، أو لا يمكن الوصول إليهم فليراجع وكيل المجتهد، لإبراء ذمته من هذه الجهة.

١. جواهر الكلام، ج ١٧، ص ٢١٦.

وقد لا يكون في البين حق مالي أو تبعة واضحة، ولكنه يحتمل وجود أذى في باطن أحدهم ممن يعاشرهم دائما كالزوجة مثلا، فإن المعاشرة اللصيقة بها يجعل الإنسان يستسهل التعدي عليها وعلى حقوقها، لعدم وجود رادع في البين، وذلك من جهة استحيائها من مطالبتها بحقها، وكذا الأمر بالنسبة للوالدين.. وفي المقابل فإنَّ الحاج يلتزم في كل المواقف بالدعاء لمن أحسنوا إليه وأساء إليهم، وكذلك أصحاب الحقوق وإن أبرأوا ذمته ظاهرا، فإن هذا أبلغ في تخفيف الأوزار وحث السيئات.

أدعية السفر

٢١- لا بد للمسافر عموما وللحاج والمعتمر خصوصا، من الالتزام بأدعية ما قبل السفر: صلاة وغسلا ودعاء، فإنها دخيلة في دفع البلاء وجلب التوفيق، خصوصا في مثل هذا السفر الروحي، فإن الشياطين الحاسدة يغيظها توفيق الإنسان لمثل هذا العمل المقدس، وخاصة في تلك المشاهد العظام.. ومن المناسب الالتزام بصدقة يومية طوال السفر - ولو بأخذ وكالة من الفقير- ليكون القبض عنه فيصدق أن دفع المال للفقير لا مجرد العزل له.

وللإمام الرضا عليه السلام توصية لمن أراد الخروج للحج، متمثلة بصلاة ركعتين، والدعاء بعدها قائلا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَوِدُّكَ الْيَوْمَ، دِينِي وَنَفْسِي وَمَالِي وَأَهْلِي وَوُلْدِي وَجِيرَانِي وَأَهْلَ حُرَّاتِي، الشَّاهِدَ مِنَّا وَالْغَائِبَ»^(١) ثم يوصي بوصية جامعة، فيها لباب الوصايا لمن أراد الحج حيث قال عليه السلام: «وَعَلَيْكَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِغْفَارِ، وَالتَّسْبِيحِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالصَّلَاةِ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَ



١. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٢٥.

حُسْنِ الْخُلُقِ، وَحُسْنِ الصَّحَابَةِ لِمَنْ صَحِبَكَ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَقَلَّةِ الْكَلَامِ، وَإِيَّاكَ وَالْمُهَارَاةَ»^(١).

وليُعلم الحاج - بل كل زائر للمشهد- إن صدق عنوان الزائر عليه يتحقق بمجرد خروجه من المنزل لا بوصوله إلى المشهد، ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٢). وما روي عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: «إِنَّ ضَيْفَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ حَجَّ وَاعْتَمَرَ فَهُوَ ضَيْفُ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ»^(٣).

وعليه فإن واقع الحج لا يبدأ من الميقات، وإنما يبدأ من اللحظة الأولى من الخروج من المنزل، فليحاول الحاج أن يجعل الحج هي الفترة الزمنية المحدودة بين خروجه من المنزل والعودة إليه، وما يؤيد ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «أَنْ ضَيْفَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ حَجَّ وَاعْتَمَرَ، فَهُوَ ضَيْفُ اللَّهِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَنْزِلِهِ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي صَلَاتِهِ، فَهُوَ فِي كَنْفِ اللَّهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، وَرَجُلٌ زَارَ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ زَائِرُ اللَّهِ فِي عَاجِلِ ثَوَابِهِ، وَخَزَائِنِ رَحْمَتِهِ»^(٤).

ويترب على هذا المعنى أن يكون مراقبا لنفسه في تمام هذه الفترة، وإلا فإن الخاسر هو الذي يحاول التوجه إلى ربه في الحرمين الشريفين فحسب، ناسيا بأن التوفيق الكامل في هذا السفر المقدس، إنما هي ثمرة لمجموع المجاهدة والذكر المستمر: خفيته وجليته.



أحكام الحج

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوقفة على الرحمن

١. بحار الانوار، ج ٩٦، ص ١٢٠.

٢. النساء/ ١٠٠.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٥٨٦.

٤. بحار الانوار، ج ٩٦، ص ٧.

الانتخاب الأفضل

٢٢- لينتخب الحاج تلك القافلة التي تكون أقرب إلى تحقيق أهدافه وأماله، وذلك من جهة: من يديرها، ورفقة السفر، والعالم المتصدي لشؤون الحجاج فيها، فقد يكون هناك من يثير غضب الإنسان، فيضطر لمواجهته ولو بحق، فيوجب له الدخول في الجدل والغضب الذي يسلب منه التوفيق.

ومن قواعد السفر التي لا بد من مراعاتها - وخصوصا في هذا السفر - تحاشي الاختلاط غير اللازم مع الأغيار، فإن فراغ الحجاج وبعدهم عن الأهل والوطن، يدفعهم للاجتماع غير الهادف، والدخول في كل رطب ويابس مما لا طائل تحته، فيقع في الهفوات المضرة بحاله.

كما ينبغي تحاشي الجدل مع من يدعى البحث عن الحقيقة في الحرمين، فيقع أيضا في النزاع والجدال المذموم، والقاعدة الصحيحة في هذا المجال: إن من لم يفرغ نفسه من كل حكم سابق، ولم يكن متحيرا في طلب الحق، فإن مجادلته لا توصل إلى نتيجة، بل إنه من موجبات قسوة القلب أيضا، وهو مما يضر بأهداف من تحمّل بُعد البلاد وبذل المال، ليصل إلى الهدف المنشود من الحج، ألا وهو لقاء الله تعالى.

تقدير الحجاج

٢٣- لا بد من النظر إلى الحجاج، على أنهم ضيوف الرحمن طوال السفر، فإن كل حاج ينسلخ عن هويته الشخصية بمجرد الخروج من منزله، حيث صار بذلك من شؤون مولاه، وهذا امر خطير!.. لان هتكه يعود



إلى التعدي على حرمان الله تعالى، وهو خير المدافعين عن ضيوفه كما جرت العادة في كرام البشر، ومن هنا فإن من يرى في قلبه إدارا في الموسم وخاصة في عرفة. وهو الحج كما نعلم - فليبحث عن هفواته في هذا المجال، فهذا إمامنا السجاد عليه السلام يذهب في رفقة لا يعرفونه، لئلا يحرم خدمة زوار البيت العتيق.

وفي المقابل فإن إكرام الزائر بعنوان أنه من وفد الرحمن - لا بالنظر إلى ذاته - لمن موجبات انتساب الأمر إلى الله تعالى، فيكون إكرام زائر البيت توقيرا لمقام الربوبية، وخاصة ببعض الأعمال مثل سقي الماء للحجيج، حيث تمنى جبرئيل عليه السلام أن يكون بشرا ليتميز بهذا العنوان المبارك، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يَا عَلِيُّ!... تَمَّتْ جَبْرَائِيلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَنِي آدَمَ بِسَبْعِ خِصَالٍ وَهِيَ: الصَّلَاةُ فِي الْجَمَاعَةِ، وَجَالَسَتُهُ الْعُلَمَاءُ، وَالصُّلْحُ بَيْنَ الْإِنْتَيْنِ، وَإِكْرَامُ الْيَتِيمِ، وَعِيَادَةُ الْمَرِيضِ، وَتَشْيِيعُ الْجَنَازَةِ، وَسَقَى الْمَاءَ فِي الْحُجِّ، فَأَحْرُصْ عَلَى ذَلِكَ»^(١).



مشاركة الحج

٢٤- من حُرِّم التوفيق للحج - وخاصة مع القيام بمقدماتها وعدم التوفيق لإتمامها - فعليه الالتزام بصلاة الليالي العشر من ذي الحجة، ليشترك الحجاج في ثوابهم، فان عطاء الله تعالى واسع يعم الجميع، حتى الذي يصافح حاجا حيث ورد عن الصادق عليه السلام: «مَنْ لَقِيَ حَاجًّا فَصَافَحَهُ كَانَ كَمَنْ اسْتَلَمَ الْحَجْرَ»^(١) ولا مانع أن يلتزم الحاج بهذه الصلاة أيضا، ليشترك

١. مواظب العدديه، ص ١٩٥.

٢. الأُمالي (للصديق)، ص ٥٨٦.

إخوانه أيضا في ثواب حجهم، ومن المعلوم أن القيام بهذا العمل بتوجهه، وغيرها من الأعمال الموجبة للتوفيق إلى الحج، من موجبات التيسير للحج قادم، أو للتوفيق لإتقان الحجة التي هو فيها.

وليُعلم هنا أنه بالإضافة إلى الطلب العام والالتزام بالأدعية الخاصة بالحج، فإنه لا بد من تحاشي الذنوب الموجبة لسلب التوفيق، فكما أن ذنب النهار يسلب التوفيق لصلاة الليل، فإن ذنوب السنة أيضا مما يمكن أن تكون أيضا سببا لسلب التوفيق للحج، فقد يكون الحج مقدرًا ولكن ذنب العبد يوجب حجب هذا التقدير، وقد ورد عن الصادق عليه السلام: «مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَتَهَيَّأْ لَهُ فُحْرِمَهُ، فَبَدَنْبٍ حُرِمَهُ»^(١).

الخسارة الكبيرة

٢٥- إنَّ البعض يوازن بين ما يكسبه من المال فيما لو فرط في سفر الحج، وبين ما يفوته من الأجر، فيرى أنَّ المال المكتسب يحقق له ربحًا أكثر قياسًا إلى مكتسبات الحج، وهذا هو الذي يتذرع به أهل الدنيا في تفويتهم سفر الحج، بدعوى الإنشغال، وهو ما وقع في زمان الإمام الصادق عليه السلام حيث قال أحدهم له: إني أحج سنة وشريكي سنة، فقال عليه السلام: ما يمنعك من الحج يا إبراهيم؟!.. قلت: لا أتفرغ لذلك جعلت فداك، أتصدق بخمسمائة مكان ذلك؟! قال: الحج أفضل، إلى أن رفع الراوي مبلغ صدقته إلى ألفين، فقال له الإمام عليه السلام: أفي ألفيك المناسك؟! قلت: لا،



قال: «الحج أفضل»^(١) وبذلك أشار الإمام عليه السلام إلى حقيقة لافتة - لو تعقلها أهلها - إنَّ ما يقوم به الحاج من المناسك لا يمكن أن يقدر بمال!

والقاعدة العامة في هذا الباب وغيره، هو أن يكون الإنسان كَيِّسًا فطنًا لأمر آخرته، فكما يبذل قصارى جهده لأمر دنياه، فعليه أن يكون كذلك بل أكثر حرصا من ذلك في أمر آخرته، وهو ما يشير إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «فَأَكْثِرُوا الصَّلَاةَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ كَيِّسًا فِي أَمْرِ الدُّنْيَا فَيَقَالُ مَا أَكَيْسَ فُلَانًا فَكَيْفَ مَنْ كَانَ كَاسٍ فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ»^(٢).

الملائكة الأوفياء

٢٦- إنَّ من صفات الملائكة المذكورة في القرآن الكريم هو استغفارهم لمن في الأرض، مما يدل على شفقة هذه الموجودات النورية على بني آدم، وخصوصًا على من كان له أنس بهذه الديار الطاهرة، حيث إنَّها تفتقد من كان موقفًا للحج ثم حبسه عنه مانع، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ مِنْ شَأْنِهِ الْحُجَّ كُلَّ سَنَةٍ، ثُمَّ تَخَلَّفَ سَنَةً، فَلَمْ يَخْرُجْ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ عَلَى الْأَرْضِ لِلَّذِينَ عَلَى الْجِبَالِ: لَقَدْ فَقَدْنَا صَوْتَ فُلَانٍ، فَيَقُولُونَ: اطْلُبُوهُ، فَيَطْلُبُونَهُ، فَلَا يَصِيبُونَهُ، فَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ حَبَسَهُ دَيْنٌ، فَأَدِّعْهُ، أَوْ مَرَضٌ فَاشْفِهِ، أَوْ فَقْرٌ فَأَغْنِهِ، أَوْ حَبْسٌ فَفَرِّجْ عَنْهُ، أَوْ فِعْلٌ فَافْعَلْ بِهِ، وَ النَّاسُ يَدْعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَ هُمْ يَدْعُونَ لِمَنْ تَخَلَّفَ»^(٣).



الحج

١. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١١٦.

٢. تهذيب الاحكام، ج ٦، ص ١٩.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٢١١.

تخليد الأولياء

٢٧- إن المتأمل في مناسك الحج يرى في ضمن تشريعاته تخليدا لذكر إبراهيم عليه السلام ومن معه من زوجته هاجر وولده إسماعيل عليه السلام وذلك في: البيت وبنائه، والجمرات ورميها، والمسعى بهرولته المذكورة بهاجر، وماء زمزم المذكور بعطش إسماعيل عليه السلام، أضف إلى الحجر الذي فيه مدفن هاجر.. وفي مجموع ذلك درس لنا جميعا في أن الله تعالى إذا أراد أن يخلد ذكر أحد، فلا يعجزه شيء، وقد ورد في الحديث القدسي: «إِذَا أُطِغْتُ رَضِيتُ، وَإِذَا رَضِيتُ بَارَكْتُ، وَكَيْسَ لِبَرَكَتِي نِهَائَةٌ»^(١).

والسر في كل هذا التكريم، هو قيام إبراهيم عليه السلام ومن معه بعمل فيه مجاهدة عظمى والمتمثلة: بتحطيم الأصنام، وما لزمه من الرمي بالمنجنيق في النار، وبمحاولته لذبح ولده إسماعيل عليه السلام لمنام راه.. والمحصلة النهائية من قصة آل إبراهيم عليه السلام أن هذه العائلة المباركة اشتركت برمتها في تحقيق معنى العبودية لله تعالى بأتم صورها، وفيها الشيخ الكبير، والولد الشاب، والزوجة الغريبة في واد غير ذي زرع، وفي ذلك كله درس للعائلة المؤمنة طوال التاريخ، بأن يكون سعي أفرادها جميعا هو تحقيق الخلافة الإلهية في الأرض، ولو في ضمن هذه الدائرة الصغيرة!.

ولنتأمل فيما جرى على هذه العائلة بدءا وختاما، كما ذكره الإمام الصادق عليه السلام وذلك في قوله: «ثم أمره أن يُخرج إسماعيل وأمه عنها، فقال: يا رب إلى أي مكان؟!.. فقال: إلى حرمي وأمني، وأول بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة، فأنزل عليه جبرئيل عليه السلام بالبراق، فحمل هاجر وإسماعيل



وإبراهيم عليه السلام وكان إبراهيم لا يمر بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلا وقال: يا جبرئيل إلى ههنا إلى ههنا؟!.. فيقول جبرئيل: لا، امض امض، حتى وافى مكة فوضعه في موضع البيت، وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة أن لا ينزل حتى يرجع إليها، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجر، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلوا تحته، فلما سرهم إبراهيم ووضعهم، وأراد الانصراف عنهم إلى سارة، قالت له هاجر: يا إبراهيم!.. لم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟!.. فقال إبراهيم: الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان حاضر عليكم»^(١).

اغتنام الزيارة

٢٨- من المعروف - وإن لم يكن من المأثور- أن للحاج في حجته الأولى دعوات مستجابة، وهذا الأمر ليس بغريب، إذ أن للضيف في أول ساعات الضيافة إكراما خاصا، قد لا يتكرر في الزيارات المقبلة، إذ أن عدم قيامه بلوازم الأدب في بيت المضيف في الأسفار السابقة، قد يحرمه بعض العطاء في الزيارات اللاحقة، بينما الضيف في زيارته الأولى لم يرتكب أي تقصير في هذا المجال، وبناء عليه فإن من اللازم على من عليه حج الصرورة، أن يبالي في اتقان مناسك الحج لاستجلاب هذه الرحمة الخاصة، ولا ينخدع بقول الشيطان: إن هذه هي زيارته الأولى فعليه التمرين في هذا السفر، وأما الإتقان سيكون في حجج قادمة!.. لوضوح أن هذا الحج هي فرصة مستقلة بنفسها، والأيام لا ترجع إلى الوراء، أضف



أبراهيم

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوقادة على الرحمن

إلى أنه من الذي ضمن له التوفيق لحجة قادمة؟!.. وقد ورد: «حُجُّوا قَبْلَ أَنْ لَا تَحُجُّوا»^(١).

التوسعة في الإنفاق

٢٩- إن الحاج مطالب بالبذل وسعة الإنفاق سواء على نفسه أو على غيره، ما دام كل ذلك يصب في كسب السعادة الأبدية التي لا تقدر بثمن.. فقد ورد عن الصادق عليه السلام: «دِرْهَمٌ فِي الْحَجِّ، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ سَبِيلِ اللَّهِ»^(٢). كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ويبغض الإسراف إلا في حج أو عمرة»^(٣).

ومن أفضل صور الإنفاق في الحج، هي مساعدة إخوانه الحجاج، ممن عرضت لهم حاجة طارئة من علاج وغيره، بل ما المانع أن يغدق الإنسان العطاء على كل من معه في القافلة، من باب أنهم جميعاً وفد الله تعالى، وخاصة أن الصدقة المستحبة سائغة حتى لغير الفقير أيضاً.

إن الإنفاق على ضيوف الرحمن يبلغ درجة من الفضل، بحيث أوجب معاتبة الإمام عليه السلام لإستفراد أحدهم بهذه الطاعة بما أوجبت حسرة إخوانه، حيث قال الراوي «خرجنا إلى مكة نيف وعشرون رجلاً، فكنت أذبح لهم في كل منزلٍ شاةً، فلما دخلت على أبي عبد الله عليه السلام قال لي: يا حسين!.. وتذلّ المؤمنين؟!.. فقلت: أعود بالله من ذلك، فقال: بلغني أنك كنت تذبح لهم في كل منزلٍ شاةً، فقلت: ما أردت إلا الله، فقال: أما كنت ترى



١. الأمالي (للمفيد)، ص ٦٤.

٢. وسائل الشيعه، ج ١١، ص ١١٤.

٣. الفقيه ٢: ١٨٣.

أَنَّ فِيهِمْ مَنْ يَحِبُّ أَنْ يَفْعَلَ فَعْلَكَ، فَلَا يَبْلُغُ مَقْدَرَتَهُ ذَلِكَ، فَتَقَاصِرُ إِلَيْهِ نَفْسَهُ، فَقُلْتُ: أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَلَا أَعُودُ!»^(١).

الحرص على التزود

٣٠- من التعابير الرائعة عن الحج ما ورد عن علي عليه السلام: «يَأْتُونَ إِلَيْهِ وَوَلَوْهَ الْحَمَامِ»^(٢) أَرَأَيْتَ أُسْرَابَ الْحَمَامِ الظَّامَّةِ وَهِيَ تَحْطُّ بِجَانِبِ الْغَدِيرِ؟!.. فكم يكون حرصها على التزود منها قبل أن تطير إلى القاحل من البقاع؟!.. فعلى الحاج أن يرى نفسه كمثل هذا الحمام الذي ساقه العطش إلى غدير الحرمين الشريفين، ليرجع بزاد العام كله، وخاصة في ساعة الوداع، حيث لا يعلم أن الله تعالى قد غفر له أم لا، فيكون حاله عندها كحال العبد ليلة القدر أو ليلة العيد، حيث لا يقطع بالغفران فيها أو الرضوان، فيعيش حالة الخجل والوجل من ربه.

وليعلم أنَّ الذي له مثل هذا العطش لزيارة البيت، فَإِنَّهُ سِيَحْظِي بِعِنَايَةِ الكعبة - ولو باعتبار صاحبها - سواء وفق للحج أو حبسه عنه عذر، وخاصة عندما يتوجه إليها مستقبلاً إياها في الصلاة، وهو يعيش حالة الحنين إليها، كما عبرت عنه الرواية عن الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلْكَعْبَةِ لِلْحِظَّةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، يُغْفَرُ لِمَنْ طَافَ بِهَا، أَوْ حَنَّ قَلْبُهُ إِلَيْهَا، أَوْ حَبَسَهُ عَنْهَا عَذْرًا»^(٣) كما أَنَّ هَذِهِ الرَّوَايَةَ بظَاهِرِهَا مُؤَيِّدَةٌ لوجود شعور ما - وإن لم نفقهها - للكعبة وأمثالها كالحجر الأسود، حيث كان يحدثهما المعصوم عليه السلام عندما كان يصل إليهما.



أبراج الحج

التفصيل الأول: التهيؤ النفسي للوقادة على الرحمن

١. المحاسن، ج ٢، ص ٣٥٩.

٢. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٥.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٦٣.

عمارة المشاهد

٣١- إن من موجبات إصرار العبد على أن يكون متواجدا في تلك المشاهد العظام، هي رغبته أن يرى بيت ربه عامرا بزواره، وفي ذلك إعزاز لدينه، وإظهار لكرامة مواطن أوليائه، حيث عبر عن هذه الحقيقة أمير المؤمنين عليه السلام قائلا: «فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى... وَ الْحُجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ»^(١) وعبرت عنها الزهراء عليها السلام قائلة: «فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ... وَ الْحُجَّ تَشْيِيداً لِلدِّينِ»^(٢)، و اللافت هنا أن النبي صلى الله عليه وآله عندما دخل مكة قبل فتحها، ظهر بمظهر لا يوحي بالوهن إعزازا لدينه أيضا، فقد روي^(٣) أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخرج عضديه، ثم رَمَلَ بالبيت ليربهم أتهم لم يصبهم جهد!

إن هذا الإحساس لو انتاب العبد، لأورثه مباركة إلهية خاصة، وذلك عندما ينظر إلى قلبه، فيرى فيه حبا للمولى وملتعلقاته، ومنها بيته الحرام، ومما يدل على أن الله تعالى يحب أن يكون بيته مثابة للناس وعامرا بهم، ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ لَيَدْفَعُ بِمَنْ يَحُجُّ مِنْ شِيعَتِنَا عَمَّنْ لَا يَحُجُّ، وَ لَوْ أَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِ الْحُجِّ هَلَكُوا»^(٤).



الابلاغ الالهي

٣٢- إن من دروس الحج البليغة، أن الله تعالى نعم الرافع لذكر عبده، فيما لو تعلقت مشيئته بذلك، وهو ما فعله بنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله حيث قرن ذكره به في الأذان والإقامة والتشهد وغيره، وهو أيضا الموفق لمن يشاء

١. بحار الانوار، ج ٦، ص ١١٠.

٢. دلائل الامامة، ص ١١٣.

٣. علل الشرائع، ج ٢، ص ٤١٢.

٤. الكافي، ج ٤، ص ٢٦٣.

من عباده، ليجعله إماما لعباده ومنارا لبلاده، وهو ما يطلبه عباد الرحمن من الله تعالى، في أن يجعل من ذرياتهم وأزواجهم إماما للمتقين.

وهذان المعنيان تحققا في باني البيت وهو إبراهيم عليه السلام حيث قرن الله تعالى ذكره في الحج بذكره، فمعالم الحج في أغلبها مذكورة به، وهو الذي أيضا بارك في نداء إبراهيم عليه السلام بالحج ليأتي الناس من كل فج عميق، وقد وردت الرواية مؤكدة على أن الله تعالى هو الذي أتم ما فعله إبراهيم عليه السلام وذلك عندما قال إبراهيم عليه السلام: يا رب!.. وما يبلغ صوتي؟!.. فقال الله تعالى: «أذن، عليك الأذان وعليّ البلاغ»^(١) فإين نداؤه في واد غير ذي زرع، واين هذا الإبلاغ الإلهي للحج في كل العصور؟!

الوصية الجامعة

٣٣- إن الكثير من روايات أهل البيت عليهم السلام تبين الثمرة العملية للعبادات بمختلف صورها، والمتمثلة بتحقيق اللقاء الإلهي في دار الدنيا قبل الآخرة، والمضامين الواردة في المناجاة الشعبانية، جلية في فتح شهية العبد على تلك الدرجات التي لو وصل إليها العبد، لما بقي معه ميل إلى شهوات الدنيا وملاذها، ومن تلك الروايات ما ورد في خصوص الحج، فإنه سير أفاقي وأنفسي إلى الله تعالى، تتضح ملامحه من خلال الآيات البيّنات التي أودعها سبحانه في تلك المشاهد العظام.

ومن هذه الروايات البليغة في إيصال العبد إلى هذه الحقيقة، ما روي عن الصادق عليه السلام حيث قال: «إذا أردت الحجّ، فجرد قلبك لله من قبل عزمك من كلّ شاغلٍ، وحجاب كلّ حاجبٍ، وفوّض أمورك كلّها إلى خالقك، وتوكل

١. تفسير القمي، ج ٢، ص ٨٣



أبراهيم

عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكناتك، وسلّم لقضائه وحكمه وقدره، ووَدَّع الدنيا والراحة والخلق»^(١).

تكرار الحج

٣٤- إنَّ الحجَّ وإنَّ وجب في العمر مرة، إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّ لا يكرر العبد حجته بعد أداء الحجَّ الواجب فيما لو تيسر له ذلك، فإنَّ الرواية تصفه بالمحروم، كما روي عن الصادق عليه السلام: «مَنْ مَضَتْ لَهُ خُمْسُ سِنِينَ، فَلَمْ يَفِدْ إِلَى رَبِّهِ وَهُوَ مُوسِرٌ، إِنَّهُ لَمَحْرُومٌ»^(٢) والرواية عبرت عن الحجَّ بالوفادة إلى الله تعالى لتثبيت معنى الحرمان، إذ كيف يفوت العبد مثل هذه الجائزة، وهو موسر يمكنه الإتيان بموجباتها!؟

والعبد كما يحب ذلك لنفسه، فإنَّه يحبه لأهله وعياله، فلو كان يرجو الباقيات الصالحات من وراء ذريته، فعليه أن يقتصد في معيشته ومعيشة عياله، ليدخر ما يوجب له مثل هذا التوفيق، وإنَّ أوجب شيئاً من الضيق لعياله، كما يفهم من رواية الإمام الصادق عليه السلام عندما سأل أحدهم: «مَا يَمْنَعُكَ مِنَ الْحُجِّ فِي كُلِّ سَنَةٍ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ الْعِيَالُ قَالَ فَقَالَ إِذَا مِتَّ فَمَنْ لِعِيَالِكَ أَطْعَمَ عِيَالَكَ الْخَلَّ وَالزَّيْتِ وَحُجَّ بِهِمْ كُلَّ سَنَةٍ»^(٣).

بل إنَّ بعض الروايات تشير إلى أنَّ الله تعالى يحب أن تكون نية العبد طوال السنة، هو جمع المال ليحقق به الاستطاعة - ولو لحجة أخرى - وبذلك يكتسب سعيه لجمع المال، شيئاً من الانتساب إلى الله تعالى، وهذا



١. مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ١٧٢.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٢٤٤.

٣. وسائل الشيعه، ج ١١، ص ١٣٤.

بدوره من موجبات المباركة الإلهية في العبد وفي سعيه، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «يَا عِيسَى، إِنِّي أَحِبُّ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فِيمَا بَيْنَ الْحُجِّ إِلَى الْحُجِّ، وَأَنْتَ تَتَّهِيأُ لِلْحُجِّ»^(١).



أبراج الحج

الفصل الأول: التهيؤ النفسي للوقادة على الرحمن



الفصل الثاني:
الآداب الروحية في الميقات





التهيؤ بالمستحبات



أحكام الحج

الفصل الثاني: الآداب الروحية في الميقات

١- إن الحاج مأمور - ولو استحباباً - بمرات عديدة من الاغتسال وذلك في: الميقات، و قبل دخول الحرم المكي وعند زيارة النبي ﷺ وهذا هو المستحب الذي ورد غالباً في زيارة المعصومين عليه السلام فهناك غسل بعد غسل، و كأن العبد يريد أن يقول: يا رب، أنا بظاهري أغتسل بهذا الماء القراح، وأنت يا رب طهر باطني بماء التوبة، أنا أظاهر بمظهر المتطهرين، وأنت صب على رأسي ماء الرحمة، كما أدعوك في دعاء المسح قائلاً: «اللَّهُمَّ عَشِّنِي بِرَحْمَتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَعَفْوِكَ»^(١).

ومن المناسب أن نلهج بأدعية الاغتسال الواردة في مواردنا، وذلك من أجل الوصول إلى ملكوت هذا الاغتسال، فيقول: «اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي وَتَقَبَّلْ سَعْيِي وَاجْعَلْ مَا عِنْدَكَ خَيْرًا لِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ»^(٢).

١. المحاسن، ج ١، ص ٤٥.

٢. وسائل الشيعة، ج ٢، ص ٢٥٤.

وقد أشار الإمام السجاد عليه السلام - فيما نسب إليه - إلى بعض ما يناسب أن يعيشه الحاج في هذه الحالة، فأدب الغسل أن تنوي به «أَنَّكَ اغْتَسَلْتَ مِنَ الْخَطَايَا وَالدُّنُوبِ»^(١) وعند خلع الثياب فأدبه أن تنوي به «أَنَّكَ خَلَعْتَ ثِيَابَ الْمَعْصِيَةِ» وعند لبس ثياب الإحرام فإن أدبه أن تنوي به «أَنَّكَ لَبَسْتَ ثَوْبَ الطَّاعَةِ».

التذلل في حالة الإحرام

٢- إنَّ البعض يجعل عملية الإحرام حركة مادية مجردة، فلا تعدوا كونها تغيير لبسٍ كان يلبسه والحال أنَّ المطلوب من الحاج، أن يجعله مقترناً ببعض المعاني المهيجة لمشاعر الإنابة إلى الله تعالى واستشعار الخشية منه؛ لأنه بهذا الزي يوضع على المغتسل، وبه يدخل القبر وبه يخرج إلى عرصات القيامة، فتذكر كل هذه المواقف يجعله يحول محطة الميقات إلى محطة للتأثر الباطني، ليكون بمثابة الشرارة القادحة لباقي المناسك، وإلى مثل هذه الحقائق يشير الإمام الرضا عليه السلام بقوله: «فإن قيل: فَلِمَ أُمِرُوا بِالْإِحْرَامِ؟!.. قِيلَ لِأَنَّ يَحْشَعُوا قَبْلَ دُخُولِهِمْ حَرَمَ اللَّهِ وَ أَمْنَهُ، وَ لِيَتَلَّأ يَلْهُوا وَ يَشْتَغَلُوا بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَ زِينَتِهَا وَ لَذَائِهَا، وَ يَكُونُوا صَابِرِينَ فِيمَا هُمْ فِيهِ قَاصِدِينَ نَحْوَهُ، مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ بِكُلِّيَّتِهِمْ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ لِيَتَّيَّبَهُ، وَ التَّدَلُّلَ لِأَنفُسِهِمْ عِنْدَ قَصْدِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَ وَفَادَتِهِمْ إِلَيْهِ، رَاجِينَ ثَوَابَهُ، رَاهِبِينَ مِنْ عِقَابِهِ، مَاضِينَ نَحْوَهُ، مُقْبِلِينَ إِلَيْهِ بِالذُّلِّ وَ الْإِسْتِكَانَةِ وَ الْخُضُوعِ»^(٢).



أحكام الحج

١. مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٧.

٢. علل الشرايع، ج ١، ص ٢٧٤.

الأدب عند التلبية

٣- إن الحاج يلبي في الميقات قائلاً: لبيك اللهم لبيك!.. والملاحظ أن البعض يبذل قصارى جهده من أجل أن يتقن مخارج الحروف بإعراب صحيح، وينسق عربي لا خطأ فيه، ولكن هل تأملنا المراد من هذه الجملة؟!.. فالإنسان عندما يقول: لبيك اللهم لبيك، فإن معنى هذا الإقرار: أنه يارب أطيعك إطاعة بعد إطاعة، فهل هو صادق فيما يدعي؟!.. وهل تأمل في أن الرب قبل منه ذلك، أم أنه في عداد من يقال لهم: لا لبيك ولا سعديك؟!.. وهذا هو الذي كان بيديه أئمة الهدى عليهم السلام في الميقات، حيث كانت تتغير أحوالهم وألوانهم، وكأنهم بذلك يريدون أن يعلمونا أدب الخجل والوجل بين يدي الله عز وجل.



أدب الحج

الفصل الثاني: الأدب الروحية في الميقات

فقد روي أنه حجَّ زين العابدين عليه السلام: «فَلَمَّا أَحْرَمَ وَاسْتَوَتْ بِهِ رَاحِلَتُهُ، اصْفَرَ لَوْنُهُ، وَوَقَعَتْ عَلَيْهِ الرَّعْدَةُ، وَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُلَيِّ، فَقِيلَ: أَلَا تُلَيِّ؟!.. فَقَالَ أَحْشَى أَنْ يَقُولَ لِي لَا لَبَيْكَ وَلَا سَعْدَيْكَ!.. فَلَمَّا لَبَّى خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَ سَقَطَ عَنْ رَاحِلَتِهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَعْتَرِيهِ ذَلِكَ حَتَّى قَضَى حَجَّهُ»^(١). واللافت في هذا الخبر، أن هذه الحالة اعترت الإمام السجاد عليه السلام ولازمته طوال حجه.

وعليه، فإن من المناسب للعبد في الميقات بعد أن يلبي التلبية الواجبة - سواء في عمرة أو حجة - أن يذهب إلى زاوية من زوايا الميقات، وهو في أول مراحل الدخول في حرم الله تعالى، ويحاول أن يصلح الأمر فيما بينه مع ربه طلباً لغفرانه، ليكون السعي بعدها طلباً لرضوانه في باقي مناسكه، و

١. عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ٤، ص ٣٥.

هذا هو الأمر الذي نقوله بعينه في أول شهر رمضان، حيث يسعى العبد في أن يكسب غفران الله تعالى في أوله، ثم رضوانه في آخره، فليكن شعاره في الميقات أيضا طلب الغفران من الله تعالى، و يجعل شعاره في الحرم المكي وما بعده من النسك، هو الفوز برضوانه.

إتقان بداية الدخول

٤- إن الميقات - كما هو معلوم فقهيا - أول مدخل من مداخل الحرم الإلهي، ففيها يصبح العبد محرما، ويجب عليه الالتزام بتروك الإحرام بعده، وكأنه بذلك دخل رسميا قاعة السلطان.. وعليه فلا بد أن يلتزم بلوازم الإحرام من أول الأمر، فإن إساءة الأدب عند باب السلطان، لمن موجبات الإعراض المستمر بعدها، ومن هنا تتأكد التوصية بلزوم المشاركة والمعاهدة مع النفس، من أجل أن يبقى على أفضل صورة من صور العبودية بعد تحقق الإحرام، بينما الملاحظ - في مقام العمل - أن كثيرا من الحجاج بعد الخروج من الميقات، يعيش حالة الذهول والغفلة طوال الطريق إلى مكة!

ومما يغتنمه الحاج - وهو في الطريق إلى مكة - هو العمل بوصية الإمام الباقر عليه السلام حيث يقول: «مَنْ لَبَّى فِي إِحْرَامِهِ سَبْعِينَ مَرَّةً، إِيْمَانًا وَ اِحْتِسَابًا، أَشْهَدَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ مَلَكٍ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَ بَرَاءَةً مِنَ النَّفَاقِ»^(١) ولا بد من الوقوف عند القيدتين المذكورين في الرواية، أي محتسبا أجره عند الله تعالى، ومعتقدا بما يقول.



ومما يوجب إقبال الحاج في تلبيته، هو علمه بأنَّ الوجود كله مسبح بحمد ربه عموماً، ولكن يتأكد تسبيح الجمادات، عندما يكون العبد في حالة خاصة من الذكر ومنه حالة التلبية، فقد ورد عن النبي ﷺ: «ما من ملب يلبي، إلا لبي ما عن يمينه وشماله من شجر أو حجر»^(١).

إشراك الغير في الأجر

٥- إن المؤمن مخلوق وفيّ ومتخلق بذلك بأخلاق ربه، فمن صور الوفاء عنده أن يذكر ذوي الحقوق عليه في الميقات، سواء في: دعائه، أو في إشراكهم في ثواب نسكه، أو أداء الحج أو العمرة نيابة عنهم، وخصوصاً الوالدين ممن استقر عليهما الحج ولم يوفقا له، فإن هذا العمل من موجبات تخفيف الحساب عنهم، كما في يفهم من كلام الراوي حين دخل على الإمام الصادق عليه السلام فقال له: إنَّ أبويَّ هلكا ولم يحجَّا، وإنَّ الله قد رزق وأحسن، فما ترى في الحجَّ عنهما؟.. فقال: «افعل فإنَّه يبرد لهما»^(٢).

وما من شك أن راحة الابوين في عالم البرزخ - بحج ولدهما - من موجبات الإلتفاتة الإلهية له في سفرته، بما يوجب أن يكتب له مثل ذلك الحج اضعافاً مضاعفة فهو الواسع الكريم!



أشراك الحج

١. السنن الكبرى للبيهقي، ج ٥، ص ٦٧.

٢. بحار الانوار، ج ٥٢، ص ١٥٥.

مخالفة الهوى

٦- لا بد للحاج أن يوطن نفسه على مخالفة الهوى، والخروج عن المألوف، ليأخذها منهجا ثابتا له في حياته بعد العودة إلى وطنه فإن «إِنَّ الشَّجَرَةَ النَّبِيَّةَ.. أَقْوَى وَوُودًا وَ أَبْطَأُ حُمُودًا»^(١). كما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فالحاج عند الميقات:

- يتجرد عن الصق الأشياء ببدنه وأكثرها اعتيادا عليه ألا وهو الثوب الذي كان يستر به عورته، ولكنه الآن يسترها بأرخص أنواع القماش وأيسرها لبسا، وهو ما يلف به الطفل في مهده، كما أنه هو الذي يلف به الميت في قبره، وكأنه يسمع النداء بملاحظة ما يلبسه: قم واغتنم الفرصة بين العدمين، فلا هو طفل غير مكلف، ولا هو ميت في قبره قد انتهى تكليفه، وهذا المعنى الأخير يناسب ما قيل عن الحج بأنه الحشر الأصغر.
- لا يؤذي أحدا حتى هوام الأرض.
- لا يحمل ما يخيف به الآخرين كالسلاح.
- لا يلطّف بدنه بأنواع الطيب والتدهين.
- يجتنب الشهوة التي كانت محللة عليه، فيتحاشى النساء عقدا واستمتعا.
- يتحاشى وهو في حال إحرامه ما كان معتادا عليه من ظل يظله.
- يتجنب ممارسة الآخرين بالجدال.
- يتجنب أبسط ما كان يقوم به من النظر إلى المرأة متزينا بها.



١. نهج البلاغه (صبيح صالح)، ص ٤١٨.

- لا يتجنب الرائحة الكريهة بينما يؤمر بتجنب الروائح الطيبة.

وعليه فإن مجموع هذه القيود، تجعله في عالم آخر من المراقبة الشديدة لأفعاله الجوارحية والجوانحية معا.. فكم الدرس بليغ في أنه لا بد للعبد من السيطرة على نفسه، وامتلاك القدرة في أن يقول لنفسه «لا» وذلك متى ما أراد ذلك، ليتحول هذا الأمر ملكة ملازمة له في كل مراحل حياته.

مجانبة العجب

٧- قد تنتاب الإنسان حالة من العُجب أو استلطاف الذات، عندما يعيش عالما روحيا متميزا في مرحلة من مراحل الحج كالميقات مثلا، لأنها أول ساعات الدخول في ضيافة المولى - وخاصة لمن كان في حج الصلوة - فيبدو له كل شئ ذات بهجة، وبالتالي قد يحتقر غيره أو يستنقص من قدره، بدعوى أنه لا يعيش مثل مشاعره، ومن المعلوم إن مثل هذا الإحساس قد يوجب له مقت المولى، لأنه أولا: لا يعلم حقيقة العباد فلعله يرى مشتتلا بطمرين باليين لا يعبؤ به، وهو ولي من أولياء الله تعالى، وثانيا: لا يضمن خواتيم الأعمال، فلعل الشيطان ينتقم منه بعد العودة من هذا السفر العظيم!.

فعليه لا بد للعبد الملتفت، أن ينظر إلى زوار البيت، على أنهم ضيوف الرحمن، وهو أولى المدافعين عن ضيوفه وإن كانوا من العاصين، فإن صاحب البيت ينظر إلى زائره - فعلا - مع قطع النظر عما كان عليه قبل ذلك.. فهذا إمامنا السجاد عليه السلام يفتح لنا هذا الأفق الواسع يشمل حالة



أبواب الحج

الحج وغيره، وذلك من خلال قوله: «أَرَى الدُّنْيَا كُلَّهَا بِحَدَافِيرِهَا مَمْلُوكَةَ اللَّهِ وَ أَرَى الخَلْقَ كُلَّهُمْ عِبِيدَ اللَّهِ وَإِمَاءَهُ وَ عِيَالَهُ»^(١).

التخطيط من أول الطريق

٨- إنَّ لعلمائنا الأبرار بيانات شافية في بيان أسرار الحج، فمن المناسب أن يتأملها الحاج - وخاصة في الميقات - ليكون مذكرا ومحفزا له، وذلك من أجل أن يخطط لتمام حجته وهو في أول الطريق، فموسم الحج كموسم شهر رمضان المبارك، من جهة أنه ينقضي والعبد يغترف من معينه كما كان ينبغي، بل يفاجأ بانتهائه وهو صفر اليدين.

وكعينة من كلمات السابقين من علماء السلف في هذا المجال، ننقل ما ذكره العلامة النراقي رحمته الله حيث قال:

«إنَّ الغرض الأصلي من خلق الإنسان معرفة الله، والوصول إلى درجة محبته تعالا والأنس معه، وهذا أمر موقوف على صفاء النفس وتجردها، وذلك موقوف على الإبتعاد عن الشهوات الطبيعية، وكفّ النفس عن اللذات الشهوانية، والإعراض عن زخارف الدنيا ومتاعها، ثم توجيه الجوارح والأعضاء إلى الله في الأعمال الشاقة، والمداومة على ذكر الله، وبناء القلب على التوجه له.

ومن هنا فقد فرض الله العبادات التي تتضمن هذه الأمور، فبعض العبادات عبارة عن بذل المال في سبيل الله، وهو أمر يبعث القلب على الانقطاع عن متاع الدنيا، مثل الزكاة والخمس وسائر الصدقات،



وبعض العبادات يتضمن ترك الشهوات واللذات مثل الصوم، وبعضها يشتمل على ذكر الله وتوجيه القلب إليه، واشتغال الأعضاء في العبادة مثل الصلاة.

والحج هو من بين جميع العبادات، يحتوي على جميع تلك الأمور مع زيادة، ففيه ترك الوطن، ومشقة البدن، وبذل المال، وقطع الآمال، وتحمل المشاق، وتجديد الميثاق مع الله، والطواف، والدعاء، والصلاة، وفيه أمور لم يعتد الناس عليها يألّفوها، ولا تدرك العقول حكمتها، مثل رمي الجمرات، والهرولة بين الصفا والمروة، وهذه الأعمال تظهر غاية العبودية، وكمال التواضع والمذلة لله تعالى، أما سائر العبادات فهي أعمال تفهم العقول علّتها، ومن هنا يأنس الطبع بها، وتميل النفس لها، بينما بعض أعمال الحج أمور لا طريق لعقول أمثالنا إلى فهمها، ومن هنا فالإتيان بها لا يكون إلا من جهة الطاعة والعبودية لله، وإظهار العبودية لله في مثل هذه الأعمال أكثر مما في غيرها، فالعبودية الحقيقية هي أن لا يصدر الفعل عن سبب سوى الإطاعة للمولى، ومن هنا قال رسول الله ﷺ في خصوص الحج: «لبيك بحجة حقاً، تعبدوا ورقاً» ولم يقل مثل ذلك في سائر العبادات»^(١).

النيابة عن غيره

٩- من المناسب أن يختار الحاج أفضل صبيغ النيابة، فيما لو أراد أن يحج عن غيره متطوعاً، كما أنّ عليه أن يكون أميناً في أداء العمل لغيره فيما لو كان مستناباً، ومما يوجب له إثقان النسك في غيبة من استنابه، هو



أحكام الحج

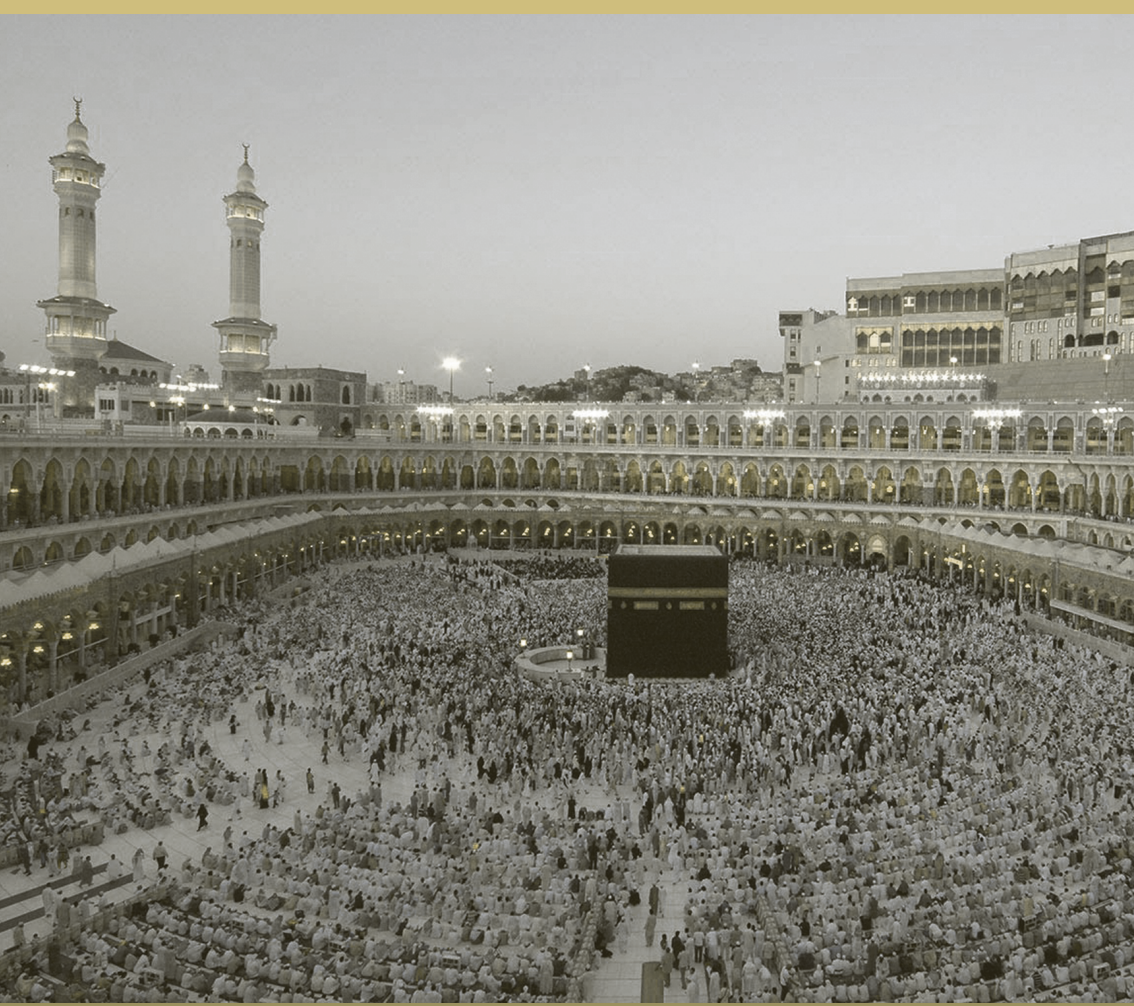
الفصل الثاني: الآداب الروحية في الميقات

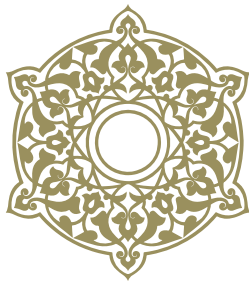
علمه بأنه ليس شريكاً في الأجر فحسب، وإنَّما له من الأجر أكثر من أجر مَنْ ينوب عنه أضعافاً مضاعفة؛ لأنه يتعب نفسه في سبيل رفع التكليف عن غيره، وهذا بدوره فعل محبوب لله تعالى، ومن موجبات التفضل بما ذكرناه أنفاً، فعن عبد الله بن سنان قال: «كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ ثَلَاثِينَ دِينَاراً يُحِجُّ بِهَا عَنْ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئاً مِنَ الْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ إِلَّا اشْتَرَطَهُ عَلَيْهِ، حَتَّى اشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْعَى فِي وَادِي مُحَسَّرٍ، ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا، كَانَ لِإِسْمَاعِيلَ حَجَّةٌ بِمَا أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ، وَكَانَ لَكَ تِسْعٌ بِهَا تُعْبَتُ مِنْ بَدَنِكَ»^(١).



الفصل الثالث:

الآداب الروحية في المسجد الحرام





هبة الكعبة

١- إنَّ البعض عندما يدخل المسجد الحرام - وخاصة في حج الصلوة^(١) - تنتابه حالة من رهبة البيت من جهة، وخوف عدم إتقان الأعمال من جهة أخرى، وهذا بدوره مما قد يشغله عن الالتفات إلى المضامين المعنوية المقارنة لكل حركة في هذا السفر العظيم، ولكن من الممكن أن يجمع الحاج بين الأمرين، وذلك بالطلب من صاحب البيت أن يعرفه أسرار ضيافته، وكيفية التملي من شراب حبه وعنايته.

وهنا نقول: ما المانع أن يطلب من ربه - دلالةً حيث هو في بيته - أن يسدِّده بالملائكة الحافة بهذه المشاهد المباركة؟!... بل إنَّ الأمر في مظان التحقق على حسب الوعد الذي بشر به الإمام الصادق عليه السلام لمن دخل مكة، فقد ورد عنه أنه قال: «الْحَاجُّ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ مَلَكََيْنِ يَحْفَظَانِ عَلَيْهِ



أبراهيم

الفصل الثالث: الآداب الروحية في المسجد الحرام

١. والصلوة من الرجال والنساء الذي لم يحج. كتاب العين ٨٣/٧.

طَوَافُهُ وَصَلَاتُهُ وَسَعْيُهُ، فَإِذَا وَقَفَ بِعَرَفَةَ ضَرَبَا عَلَى مَنْكِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا مَا مَضَى فَقَدْ كُفَيْتُهُ، فَانظُرْ كَيْفَ تَكُونُ فِيهَا تَسْتَقْبِلُ^(١).

موقع مكة في القرآن الكريم

٢- ورد اسم مكة صريحاً في القرآن الكريم مرة واحدة فقط، ولكنها ذكرت في أربع عشرة آية بأسماء وألقاب مختلفة، هي: «بكة» و«أمم القرى» و«البلد» و«البلد الأمين» و«البلدة» و«الحرم» وبكلمات من قبيل: «قريتك» «من القريتين» «وإد غير ذي زرع»

ويكفي إظهاراً لجلالة هذا المكان، وما تحف به من الأحكام، أن مسائله في الفقه من أوسع المسائل، وأكثرها تشعباً إلى درجة لفت نظر زرارة حيث يقول: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلني الله فداك، أسألك في الحج منذ أربعين عاماً فتفتيني، فقال: «يَا زُرَّارَةُ!.. بَيْتٌ حُجِّ إِلَيْهِ قَبْلَ آدَمَ بِالْفِي عَامٍ، تُرِيدُ أَنْ تُفْنَى مَسْأَلُهُ فِي أَرْبَعِينَ عَاماً»^(٢).



معالم الأولياء

٣- ما من بقعة في الحرم المكي إلا وهو موطن قدم لنبى أو وصى أو ولي، وخاصة عندما يقف الحاج خلف مقام إبراهيم عليه السلام فيشعر حينها أن هذا المكان طالما صلى فيه ولي أمره وأمير الحاج صلى الله عليه وآله وكذلك الأمر عندما يقف عند الحطيم، وتحت الميزاب، وعند المستجار، و الركن اليماني، فيستشعر حقيقة أنه يقف على موطن أقدام النبي وأهل بيته عليهم السلام حيث

١. وسائل الشيعه، ج ١١، ص ١٠٣.

٢. وسائل الشيعه، ج ١١، ص ١٢.

وقفوا في هذه الأمكنة، وجلسوا على جبلها من الصفا والمروة، وهرولوا في موضعها من المسعى، فكل هذه المعالم في المسجد الحرام ترمز إلى أولياء الله وحججه، وتذكر بهم.

أضف إلى أن لهذا البيت الأرضي صورة في السماء، قد لا تقل عظمة وبركة من صورتها في الأرض، حيث أن طائفها من الملائكة المحدقة بالعرش، فقد سئل الصادق عليه السلام: لِمَ سَمَّيتِ الكعبة؟.. قال عليه السلام: لأَنَّهَا مَرَبَّعة، فقيل له: ولمَ صارت مَرَبَّعة؟.. قال: لأَنَّهَا بِحذاءِ البيت المعمور وهو مَرَبَّع، فقيل له: ولمَ صار بيت المعمور مَرَبَّعاً؟.. قال: لأنه بحذاء العرش وهو مربع، فقيل له: ولمَ صار العرش مَرَبَّعاً؟.. قال: لأنَّ الكلمات التي بُني عليها الإسلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. (١)



أبراهيم

الفصل الثالث: الآداب الروحية في المسجد الحرام

تكريم الأولياء

٤- إنَّ المطاف والمسعى يذكران بمواقف آل إبراهيم عليه السلام فالمقام وقف عليه إبراهيم عليه السلام ليبنى لله تعالى بيتاً، والمسعى ترددت فيه هاجر مهرولة طلباً للماء، والحجر منسوب إلى إسماعيل عليه السلام فيجعله الحاج خارج مطافه، فلا يدوس تلك القبور الطاهرة إجلالاً لها، حيث روي عن الصادق عليه السلام أنه قال: «وَلَكِنَّ إِسْمَاعِيلَ دَفَنَ أُمَّهُ فِيهِ فَكَرِهَ أَنْ يُوطَأَ فَجَعَلَ عَلَيْهِ حِجْرًا وَفِيهِ قُبُورُ أَنْبِيَاءٍ» (٢).

والدرس العملي من كل ذلك: إنَّ الذي يريد خلود الذكر، لا بد له من الارتباط بمبدأ الخلود في هذا الوجود، وهو الذي يبقى ويفنى كل شيء

١. علل الشرايع، ج ٢، ص ٣٩٨.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣٥٣.

دونه، وكم من الخسران أن يتشبث الانسان بمبادئ البقاء الكاذبة، من الجاه والمال بعد علمه بفناء كل ذلك!.

التدرج في الدخول

٥- من الأمور التي يغفل عنها الكثير من الحجاج والمعتمرين، إنهم يدخلون المسجد الحرام، ثم يتوجهون إلى الكعبة المشرفة من دون تدرج في ذلك، فإن ما ذكرناه في الميقات يجري بعينه في المسجد الحرام، فيدخله وهو يعلم أنه دخل قاعة اللقاء الرسمي بعد أن كان خارجها، وإن صدق عليه أنه دخل حرم مولاه بعد تجاوزه للميقات، فعن الباقر عليه السلام: «فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، قَصَرَ خُطَاهُ مَخَافَةَ اللَّهِ تَعَالَى»^(١).

وعليه فإن من الراجح أن يأخذ زاوية من المسجد الحرام، ليجلس فيها جلسة العبد الأبق الذي دخل فناء مولاه وهو لا يعلم أنه أذن له بالدخول أم لا؟!.. وخاصة عندما يتذكر سالف معاصيه، وهو ما يعلمنا الإمام الصادق عليه السلام من خلال دعاء بليغ حيث يقول: «فَإِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ، فَارْفَعْ يَدَيْكَ، وَاسْتَقْبِلِ الْبَيْتَ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِي مَقَامِي هَذَا، فِي أَوَّلِ مَنَاسِكِي أَنْ تَقْبَلَ تَوْبَتِي، وَأَنْ تَجَاوَزَ عَنِّي خَطِيئَتِي، وَتَضَعَ عَنِّي وَزْرِي، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَلَّغَنِي بَيْتَهُ الْحَرَامَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ هَذَا بَيْتُكَ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلْتَهُ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، وَالْبَلَدُ بَلَدُكَ، وَالْبَيْتُ بَيْتُكَ، حِجَّتُ أَطْلُبُ رَحْمَتَكَ، وَأَوْفُ طَاعَتَكَ، مُطِيعًا لِأَمْرِكَ، رَاضِيًا



١. ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، ص ٤٦.

بِقَدْرِكَ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمُضْطَرِّ إِلَيْكَ، الْخَائِفِ لِعُقُوبَتِكَ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ، وَاسْتَعْمِلْنِي بِطَاعَتِكَ وَامْرَضَاتِكَ»^(١).

الاعتراف بالذنب

٦- المعلوم من مذاق الشارع، أنه يريد من عبده بعد التوبة النصوح أن لا يذكر ذنبه، لأنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومن اعتقد سوى ذلك فإنه من الممكن أن يقع في معصية اليأس من رحمة الله تعالى وهي من الكبائر، حيث ذكر في عداد المعاصي الكبيرة، ولكن عندما يصل العبد إلى المسجد الحرام، فإنه مأمور بتذكر معاصيه وذلك عند الملتزم، ولعل السر في ذلك، أن تنتابه حالة الإقبال والتوجه، وهو في أجلّ مواطن الإجابة.



أحكام الحج

التفصيل الثالث: الأدب الروحية في المسجد الحرام

فعن الصادق عليه السلام: «أَنَّهُ كَانَ إِذَا انْتَهَى إِلَى الْمُلتَزِمِ قَالَ لِمَوَالِيهِ: أَمِيطُوا عَنِّي، حَتَّى أَقْرَ لِرَبِّي بِذُنُوبِي فِي هَذَا الْمَكَانِ، فَإِنَّ هَذَا مَكَانٌ لَمْ يُقَرَّ عَبْدٌ لِرَبِّهِ بِذُنُوبِهِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^(٢) كما روي عنه أنه قال: «إِذَا فَرَّغْتَ مِنْ طَوَافِكَ، وَبَلَغْتَ مَوْحَرَ الْكَعْبَةِ - وَهُوَ بِجِذَاءِ الْمُسْتَجَارِ دُونَ الرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ بِقَلِيلٍ - فَابْسُطْ يَدَيْكَ عَلَى الْبَيْتِ، وَأَلْصِقْ بَطْنَكَ وَخَدَّكَ بِالْبَيْتِ وَقُلْ: اللَّهُمَّ الْبَيْتُ بَيْتُكَ، وَالْعَبْدُ عَبْدُكَ، وَهَذَا مَكَانُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ النَّارِ»^(٣).

١. الكافي، ج ٨، ص ٥٥٧.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٥٨٢.

٣. الكافي، ج ٨، ص ٥٨٣.

استغلال ساعة الرقة

٧- إن بعضهم قد ينتابه شيء من الرقة في موسم الحج أو خارجه، ولكن يدعوه الخجل من رفقته في أن لا يسترسل في البكاء، وبذلك يحرم الأجر العظيم في تلك الساعة، ومن المعلوم إنَّ جريان الدمع مع رقة القلب من علامات الإجابة.. والقاعدة العامة في هذا المجال تقتضي أن لا يقوم العبد بما يوجب انقطاع حالة التوجه إلى الله تعالى، فلو انتابه هذا الحال في الطواف فعليه أن يبقى في المطاف؛ لأنَّ الخروج إلى غيره قد يسلبه ما هو فيه، وما قلناه أنقاً يتأكد في يوم عرفة؛ لأنَّ البعض وهو في جميع لصيق، قد يتعمد كبت البكاء، بدعوى خوفه من الرياء أو لفت نظر غيره، فيخسر كثيراً بذلك.

و مما يؤيد ذلك أنَّ الإمام الباقر عليه السلام - وهو في المسجد الحرام - تأتبه هذه الرقة ولا يبالي بمن اعترض عليه، فعن أفلح مولى الباقر عليه السلام قال: «خرجت مع محمد بن علي حاجاً، فلما دخل المسجد نظر إلى البيت، فبكى حتى علا صوته، فقلت: بأبي أنت وأمي!.. إن الناس ينظرون إليك، فلو رفعت بصوتك قليلاً، فقال لي: ويحك يا أفلح!.. ولم لا أبكي، لعل الله تعالى أن ينظر إليّ منه برحمة فأفوز بها عنده غداً.. ثم طاف بالبيت ثم جاء حتى رقع عند المقام، فرفع رأسه من سجوده، فإذا موضع سجوده مبتل من كثرة دموع عينه»^(١).



مضمار العاشقين

٨- إن الحج هو المضمار الأكبر والأوسع لمن أراد أن يسرح في ميدان العشق الإلهي، ومن هنا نقول إن أكثر المنتفعين من الحج، هم من الذين عاشوا أجواء القرب الإلهي الخاص، فعندما يأتي إلى بيت ربه، يخلق بعيدا في تلك الأجواء التي طالما كانت مجمعا للعاشقين.. ومن المعلوم أن ما يجري في هذا الفناء الإلهي لا تصل كل أخباره إلينا، ولكن بين فينة وأخرى تترشح هذه النفحات إلى العلن، ليعلم الناس أن هناك مساحات من القرب يمكن أن يتنافس فيها المتنافسون، فمن ذلك ما نقل عن الإمام السجاد عليه السلام حيث يقول الرواي: «رأيت علي بن الحسين عليه السلام في فناء الكعبة في الليل وهو يصلي، فأطال القيام حتى جعل مرة يتوكأ على رجله اليمنى، ومرة على رجله اليسرى، ثم سمعته يقول بصوت كأنه باك: «يا سيدي تعذبني وحبك في قلبي؟! .. أما وعزتك لئن فعلت، لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك»^(١).

ترك الوسوسة

٩- لا بد لمن يريد الانتقال إلى المعاني الباطنية للحج، أن لا يلتفت إلى ما يورث له الوسوسة في أداء المناسك، فالبعض لا يهمنه من النسك إلا الإتيان بالمظهر المادي منه، فتراه في الطواف مثلا يبالغ في محاذاة البيت، وكان المطلوب منه أن يدور بحركة هندسية دائرية، ناسيا أو متناسيا أن المقياس في كل هذه الموارد هو ما يتحقق به الأمر عرفا، لا هذه الدقة التي تسلبه روح التوجه إلى الله تعالى، وعليه فإن من يوسوس في عبادته، فإنه

١. الكافي، ج ٤، ص ٥٤٩.



يفتح بابًا للشيطان على نفسه، والشيطان إذا رأى استجابة للعبد في هذا المجال، لم يدعه حتى يخرج من الدين، وقد ورد في الخبر: «لَا تُعَوِّدُوا الْحَيْثُ»^(١) وعليه فإن على الحاج أن يجمع بين إتقان مناسكه، وبين أن يعيش جوهر العبادة فيها.

أسرار العدد

١٠- إنَّ عدد السبعة عدد متكرر في مجمل المناسك، فهو العدد الذي يتم به الطواف والسعي ورمي الجمار، وهو العدد نفسه في أيام الأسبوع، وفي عدد السموات والأرض، وهنا لا بد أن ندعنا بأن حقيقة الأعداد سر من أسرار الله تعالى، فلا يصح أن يخترع أحد عددا فيما يتعلق بالأذكار والعبادات، فالنبي ﷺ عندما أهدى ابنته الزهراء ﷺ منحة السماء المتمثلة بتسبيحاتها، جعل ذلك ضمن عدد معلوم، ومن تخطاها لم يحقق ما ورد الأمر به.. ومن المناسب أن نقول هنا أيضًا، بأنَّ أعمال الحج فيه أعداد توقيفية لا بد من مراعاتها، كما أنَّ الله تعالى في لقائه مع الكليم ﷺ جعل ذلك ضمن عدد، حيث تم الميقات معه في أربعين ليلة.

إننا لا نعلم ما هو هذا السر في عدد السبع المتكرر في الطواف، والسعي، ورمي الجمرات، ولعل هنالك تناسبًا بينها وبين السماوات السبع والأرضين السبع، فعالم التشريع وعالم التكوين مترابطان، إذ إنَّ صاحبهما واحد وهو الحكيم المتعال، ومن الواضح أن الحج مجموعة من الأسرار التي



لا نحيط علما بمجموعها، ومن هناك كان درسا بليغاً في التعبد بين يدي المولى، الذي بيده نواصي الخلق طرا.

المواجهة الأولى

١١- إنَّ المواجهة الأولى للكعبة يخالطها مشاعر متميزة لمن كان له قلب باطني، فمن ناحية فإنَّ هذا البيت يوازي كعبة العرش التي تحف بها الملائكة، حيث ورد عن الباقر عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «أَمَرَ اللَّهُ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، أَنْ يَجْعَلَ لَهُ بَيْتًا فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ يُسَمَّى الضُّرَّاحَ بِإِزَاءِ عَرْشِهِ، فَصَيَّرَهُ لِأَهْلِ السَّمَاءِ، يَطُوفُ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ، لَا يَعُودُونَ وَيَسْتَغْفِرُونَ، فَلَمَّا أَنْ هَبَطَ آدَمُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، أَمَرَهُ بِمَرَمَةِ هَذَا الْبَيْتِ، وَهُوَ بِإِزَاءِ ذَلِكَ، فَصَيَّرَهُ لِأَدَمَ وَ ذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَيَّرَ ذَلِكَ لِأَهْلِ السَّمَاءِ»^(١) ومن ناحية أخرى فإن هذه الكعبة كانت محط أنظار جميع من زار البيت من الأنبياء والصالحين، ومن المعلوم أنَّ مشاعرهم إزاء البيت لا تقارن بما نحن فيه، لأنَّ العبادة فرع المعرفة في كل مراحلها، أضف إلى أنَّ الإنسان عندما يتذكر قدم البيت العتيق، فإنَّه يرى نفسه وكأنَّه أمام شيخ كبير مضت عليه السنوات الطوال، وقد شهد ما شهد من الأحداث الجسام، ورأى ما رأى من الصالحين الذين طافوا حوله، ومن هنا فإنَّ النبي صلى الله عليه وآله يخاطب مكة بما فيها وكأنَّه يخاطب حبيبا له، حيث يقول مخاطبا إياها: «ما أَطْيَبَكَ مِنْ بَلَدٍ وَأَحَبَّكَ إِلَيَّ!.. وَلَوْ لَا أَنْ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكَ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكَ»^(٢).



أبواب الحج

الفصل الثالث: الأداب الروحية في المسجِد الحرام

١. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٩٤.

٢. مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٣٤.

الحرم المكي وحرمة

١٢- إنَّ الحَرمَ المَكيَ يَمثَلُ مَحصَ النَّظَرِ الإِلهيِّ بِأَجلى صَورِها، فَإِنَّ اللّهُ تَعَالَى اتَّخَذَهُ مَحصَ لِبيته، وَمَطَافِئاً لِأولِيائِهِ.. وَمِنَ هَنا فَإِنَّ كُلَّ مَن دَخَلَ فِيهِ اكَتَسَبَ حَرمته وَكرامته؛ لِأَنَّهُ صَارَ مُستَجِيراً بِهِ فِي فَنائِهِ - وَلَوْ بِلِسانِ حالِهِ - وَمِنَ هَنا فَإِنَّ الحَاجَّ أَوِ المَعتمِرَ، لَو رَأى مَن يَطلبُهُ فِي مَكَّةَ أَوِ فِي حَرمِها، فَلا يَفِزِعُهُ بِالقولِ، فَقد رَوَى عَنِ الرَضاءِ عنه أَنَّهُ قالَ: «إِنَّ كانَ لَكَ عَلَيَّ رَجُلٌ حَقٌّ فَوَجَدْتُهُ بِمَكَّةَ أَوِ فِي الحَرمِ فَلا تُطالِبُهُ وَلا تُسَلِّمَ عَلَيَّ فَتُفَزِعَهُ إِلَّا أَنْ تُكونَ أَعْطَيْتُهُ حَقَّكَ فِي الحَرمِ فَلا بِأسِّ أَنْ تُطالِبَهُ فِي الحَرمِ»^(١)

أَضَفَ إِلى أَنَّ البَلاءَ الَّذي يَصبِيبُ الحَاجَّ فِي سَفرِهِ، فَإِنَّمَا هُوَ بِعَينِ اللّهِ تَعَالَى، لِأَنَّ صَاحِبَ الدارِ يَكرُمُ مَن نَزَلَ عِندَهُ، وَخاصَّةً عِندَما يَصبِيبُهُ مَكرُوهٌ فِي طَريقِ ضَيافَتِهِ، فَكرامُ البَشرِ يَصارِعونَ مَن أَجَلَ شِفاءِ الضَيفِ الَّذي نَزَلَ فِي سَاحَتِهِم، فَكيفَ بِأَكرَمِ الأَكرَمينَ!.. وَمَما وَرَدَ فِي هَذا السِّياقِ ما رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله: «مَنْ مَرَضَ يَوماً بِمَكَّةَ، كَتَبَ اللهُ لَهُ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ الَّذي كانَ يَعمَلُهُ عِبادَةَ سِتِّينَ سَنَةً، وَ مَن صَبَرَ عَلَيَّ حَرًّا مَكَّةَ سَاعَةً، تَبَاعَدَتْ عَنهُ النَّارُ مَسِيرَةَ مِائَةِ عامٍ، وَ تَقَرَّبَتْ مِنْهُ الجَنَّةُ مَسِيرَةَ مِائَةِ عامٍ»^(٢).



المراقبة المشددة

١٣- إنَّ عَلَى الطائِفِ أَنْ يَشَدِّدَ المَراقِبَةَ عَلَى نَفسِهِ مَن جَهِةِ النَّظَرِ أَوِ القولِ، فَإِنَّ أَيَّ تَجاوُزٍ فِي هَذا المَجالِ قَد يَوجِبُ لَهُ العَقوبَةَ المَضاعِفَةَ، لِأَنَّهُ بِذَلِكَ يَهتِكُ حَداً مَن حُدودُ اللّهِ تَعَالَى وَذَلِكَ فِي بَيتِ ضَيافَتِهِ، وَاللّهُ تَعَالَى

١. بحار الانوار، ج ٩٦، ص ٧٤.

٢. مستدرک الوسائل، ج ٩، ص ٣٦٤.

سريع الانتقام لمن يتجاوز حدوده في مثل هذه المشاهد المباركة، والشاهد على ذلك، أَنَّ الله تعالى أهلك من أراد بهذا البيت سوءً، وهو إبرهة وجيشه من الفيلة فأهلكم بشرٍ قتلة، حيث ذهبت مثلاً في التأريخ، ومن هنا فإنَّ من وظائف العبد في الحرم المكي والمدني، أن يطلب المدد من الله تعالى في أن لا يرتكب هفوة تسقطه من عينه تعالى، وخاصة في جهة التعامل من النساء حيث التلاصق المعهود حين الطواف والسعي فليس هناك ما يفصل الرجال عن النساء، مما يحقق الأرضية لتسلط الشيطان على من كان في قلبه مرض، فيصادر مكتسبات الحج بنظرة مريبة.



أبراج الحج

الفصل الثالث: الآداب الروحية في المسجد الحرام

وقد كان رسول الله تعالى حريصاً على أن ينبه مع معه في موسم الحج على مراقبة النظر، لأن بالتقوى بمعناها الجامع تتحقق بركات الحج، ففي الخبر أنه استقبل رسول الله ﷺ أعرابياً وعنده أختٌ له أجمل ما يكون من النساء، فجعل الأعرابي يسأل النبي، وجعل الفضل ينظر إلى أخت الأعرابي، وجعل رسول الله ﷺ يضع يده على وجه الفضل يستره من النظر، فإذا هو ستره من الجانب نظر من الجانب الآخر، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من حاجة الأعرابي، التفت إليه وأخذ بمنكبه ثم قال: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا الْأَيَّامُ الْمُعْدُودَاتُ وَ الْمُعْلُومَاتُ، لَا يَكْفُ فِيهِنَّ رَجُلٌ بَصَرَهُ، وَلَا يَكْفُ لِسَانَهُ وَيَدَهُ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ مِثْلَ حَجِّ قَابِلٍ»^(١).

الشعائر الإلهية

١٤- إنَّ المعالم الموجودة في الحرم المكي من: «المسجد الحرام، وعرفة، ومزدلفة، ومنى» لهي من شعائر الله تعالى، بمعنى أنَّها دوال تدل عليه

١. مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ١٥٧.

وتذكر به، ولكن عندما يصل الأمر إلى الصفا والمروة، فإنَّ الله تعالى يصرح بأنَّهما من شعائر الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾^(١) وفي ذلك إثبات الخصوصية لهذين الجبلين، واللذين كانا في يوم من الأيام محلا لما يُعبد من دون الله تعالى، ولكن مع ذلك لا بد للحاج الملتفت أن يعيش الحالة المناسبة مع السعي، وذلك من خلال استشعار معنى التذلل الذي عاشته أمة الله هاجر في سعيها وهرولتها، حيث ورد: «أنَّ إبراهيمَ عليه السلام لما خلف إسماعيلَ عليه السلام بمكة عطش الصبي، فكان في ما بين الصفا والمروة شجر، فخرجت أمه حتَّى قامت علي الصفا، فقالت: هل بالوادي من أنيس؟!.. فلم يجبها أحد، فمضت حتَّى انتهت إلى المروة، فقالت: هل بالوادي من أنيس؟!.. فلم تجب ثم رجعت إلى الصفا، وقالت حتي صنعت ذلك سبعا، فأجرى الله ذلك سنة، وأتاها جبرئيل فقال لها: من أنت؟!.. فقالت: أنا أم ولد إبراهيم، قال لها: إلى من ترككم؟! فقالت: أما لئن قلت ذلك لقد قلت له حيث أراد الذهاب: يا إبراهيم إلى من تركتنا؟!.. فقال: إلى الله عز وجل، فقال جبرئيل عليه السلام: لقد وكلكم إلى كاف»^(٢).



الإصرار في السعي

١٥- إن من المعاني التي يناسب أن يعيشها الحاج في سعيه، هو استشعار حالة الإصرار فيما يريد من ربه، وهو في حالة السعي بين الصفا والمروة في أشواطه السبعة، فكما أنَّ العبد عندما يطلب حاجته من السلطان فإنَّه يتردد في فنائه ذهابا وإيابا - لخوفه من الرد - فهكذا ينبغي أن يكون عليه حال الحاج في سعيه متذللا بين يدي ربه، فقد روي

١. البقره/١٥٨.

٢. سفينه البحار، ج ٦، ص ٢٩٢.

عن الصادق عليه السلام أنه قال: «مَا مِنْ بُقْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْمُسْعَى لِأَنَّهُ يَدُلُّ فِيهِ كُلُّ جَبَّارٍ»^(١) وليحاول أيضا أن يجعل هذا السعي ختام مسك لعمرته إنقانا له، حيث التقصير ثم الإحلال بعده من الإحرام.

باقعة عبادية

١٦- إنَّ على الحاج أن تكون عنده باقة من الأفعال العبادية يستثمرها في مواطن الطاعة كالطواف والسعي وغيره، وذلك من قبيل: «قراءة القرآن، أو الصلاة، أو المناجاة، أو التفكير في نفسه، وما جرى من الأحداث في تلك البقاع الطاهرة والتي أورثت الخلود لأصحابها» فيختار منها ما يناسب مزاجه وإقباله الباطني في كل مرحلة، وبذلك لا يبقى حائرا في أمره كما يتفق لمن يطوف ويسعى بذهول، فلا يعلم ما يقوله وإنما يعيش حالة السرحان الذي كان يعيشه خارج الموسم، وقد يتفق أنه - إرضاء لضميره - يعوّض عدم إقباله الباطني برفع صوته في الدعاء مثلا، أو المشاركة في قراءة جماعية رتيبة، حيث يكون اهتمام الجميع فيها متوجها إلى اللحن والأداء اللفظي فحسب.

فمن هذه الأعمال مثلا حَتَمُ الْقُرْآنِ بِمَكَّةَ فَقَدْ وَرَدَ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ حَتَمَ الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَ يَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»^(٢) ومنها أن يتفنن في أنواع الدعاء، فيناسب بعد الفراغ من المأثور، أن ينطلق بحديث عفوي مع ربه ولو بلغة قومه، ليبيث لواعج نفسه لمولاه، خارجًا من قيود الألفاظ، ومن هنا جاء في كتب الفقه: إنَّ من المواطن التي

١. بحار الانوار، ج ٩٦، ص ٤٥.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٩٠.



أبواب الحج

ليس فيها دعاء موقت: «الصلاة على الجنّاة، والقنوت، والمستجار، والصفاء، والمروة، والوقوف بعرفات، وركعتي الطواف».

التأمل أمام الكعبة

١٧- إنَّ من الأعمال التي يمكن أن توجب كمالاً في العبد، هو أن يعيش حالة التأمل والنظر الهادف إلى الكعبة، وهذا لا يكلفه عملاً ولا جهداً مضاعفاً، ومن الراجح هنا القول: بأنَّ الثواب الموعود به لا يكون للنظرة البلهاء التي تتوجه لكل شيء، ومن هنا قيد الإمام الباقر عليه السلام النظر بقيد خاص حيث يقول: «مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكُعْبَةِ عَارِفاً بِحَقِّهَا، عَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ، وَ كَفَى مَا أَهَمَّهُ»^(١) بل إنَّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أضاف إلى هذه النظرة قيده شعورياً، وذلك من خلال الإشارة إلى عنصر الحب حيث روي عنه: «النَّظَرُ إِلَى الْكُعْبَةِ حُبًّا لَهَا، يَهْدِمُ الْخَطَايَا هَدْمًا»^(٢) ومن المعلوم إنَّ هذا الحب للبيت إنَّما سرى من الحب لصاحبه!



ومن المناسب حين النظر إلى الكعبة، تذكّر ما كانت عليه الكعبة قبل تحطيم إبراهيم عليه السلام الأصنام حولها، فنقول: كما أن إبراهيم الخليل عليه السلام أمر بتطهير البيت الحرام من الأصنام الظاهرية، فإننا مأمورون أيضاً بتحطيم الأصنام الباطنية التي نتوجه إليها في الخفاء، وإن لم نعلن عبادتنا لها في الجلاء، ألا وهي الشهوات التي زُيّنت لنا والتي ذكرها القرآن بأصنافها وأنواعها.. فلنتأمل في هذه المقولة لإمامنا الصادق عليه السلام التي

١. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٠٤.

٢. وسائل الشريعة، ج ١٣، ص ٢٦٥.

تفتح لك آفاقاً من المعرفة وهي: «الْقَلْبُ حَرَمٌ اللهُ فَلَا تُسْكِنُ حَرَمَ اللهُ غَيْرَ اللهُ»^(١).

دروس الطواف

١٨- إنَّ الطواف رغم كونه عملية مادية متمثلة بإطافة البدن حول البيت، إلاَّ أنَّه من الممكن أن يستلهم منه الحاج درساً جوهرياً: فمنها ضرورة وجود محور واحد لقلب المؤمن في حركة حياته، ومنها الانتظام في سعيه المعنوي، كما أمر بالانتظام الظاهري في سعيه المادي طوافاً وسعيّاً، ومنها النظر إلى وحدة مصير الخلائق في عرصات القيامة، كما هو الأمر كذلك في المسجد الحرام، فالجميع يظهر بزي واحد لا يتمايز فيه فقير من غني.

وعليه فإن الطواف فيه عناصر متمازجة وبليغة من دروس الحياة حيث إنَّ فيه: حركة دائبة، واتجاهاً ثابتاً، ومساحة محددة، ومحورية حول نقطة واحدة، ومعايشة للخلق، وابتداء وانتهاء، وصلاة متعقبة، وطهارة للشوب، وعددا لا ينبغي تجاوزه، وشكوكاً مبطلّة، ومنعاً للزيادة والنقيصة، واشتراط الطهارة من الحدث والخبث.

الطواف عن المعصوم عليه السلام

١٩- إن البعض قد يظن أن لا داعي للعمل نيابة عن المعصوم، بدعوى أنَّ الأوصياء لا يطاف عنهم، والحال بأن هذه الدعوى أبطلها المعصوم بنفسه، بل إنه أثنى على مثل هذا الطواف، وجعله من خير ما يقوم به



الطائف في المسجد الحرام.. ولا عجب في ذلك فإن هذا الأمر العبادي - أعني الطواف - فيه خاصية التقرب إلى الله تعالى، وهو بدوره يوجب نورا يصل إلى من نوى الحاج الطواف عنه، وإن كان الحج لنفسه أو لغيره، وهذا يفهم من قول الراوي حينما قال للإمام الجواد عليه السلام: قد أردت أن أطوف عنك وعن أبيك، فقل لي: إن الأوصياء لا يطاف عنهم!.. فقال: «بلى، طف ما أمكنك، فإن ذلك جائز»، ثم قلت له بعد ذلك بثلاث سنين إني كنت استأذنتك في الطواف عنك وعن أبيك، فأذنت لي في ذلك فطفت عنكما ما شاء الله ثم وقع في قلبي شيء فعملت به، قال: وما هو؟ فأخذ الراوي يعدد الطواف عن المعصومين من آبائه عليهم السلام إلى أن قال: وربما طفت عن أمك فاطمة عليها السلام وربما لم أطف، فقال: «استكثر من هذا فإنه أفضل ما أنت عامله إن شاء الله»^(١).



يمين الله تعالى

٢٠- إنَّ الحَجَرَ الأَسودَ يمينُ اللهِ في أرضه، حيث ورد عن الصادق عليه السلام: «إِنَّ لِلْحَجَرِ لِسَانًا دَلَقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَشْهَدُ لِمَنْ وَافَاهُ بِالمُؤَافَاةِ»^(٢) وعليه فلا بد من استحضار معنى المعاهدة مع رب العالمين، والبناء على عدم الإخلال بذلك إلى آخر العمر، فبدلاً من مدافعة الحجاج، علينا أن نتأمل في مضمون هذا العهد الإلهي.

واللافت هنا أنَّ الإمام المعصوم عليه السلام رغم علمه بعظمة هذا الموضوع، إلَّا أنَّه كان يُعفي نفسه عن استلام الحجر، فقد ورد: «إِنَّ رَجُلًا أتَى أَبَا

١. الكافي، ج ٨، ص ٣٣٠.

٢. علل الشرايع، ج ٢، ص ٤٢٥.

عَبْدَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي الطَّوَافِ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا نَقُولُ فِي اسْتِلامِ الْحَجَرِ؟! ..
 فَقَالَ: اسْتَلِمْتَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا أَرَاكَ اسْتَلِمْتَهُ! .. فَقَالَ: أَكْرَهُ أَنْ أُؤْذِيَ
 ضَعِيفًا أَوْ أَتَأَذَى، فَقَالَ: قَدْ زَعَمْتَ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَلِمَهُ؟ .. فَقَالَ:
 بَلَى، وَلَكِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَأَوْهُ عَرَفُوا لَهُ حَقَّهُ، وَأَنَا فَلَا يَعْرِفُونَ لِي
 حَقِّي»^(١).

الركن اليماني

٢١- إن للكعبة أركاناً أربعة ولكن أفضلها ركن الحجر والركن اليماني،
 ومن مزايا هذا الركن اليماني أنه أيضاً من موارد الاستجابة، حيث روي
 عن الصادق ﷺ: «إِنْ مَلَكَ مَوْكَلًا بِالرُّكْنِ الْيَمَانِيِّ مُنْذُ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ
 وَالأَرْضِينَ، لَيْسَ لَهُ هِجِيرٌ إِلَّا التَّامِينَ عَلَى دُعَائِكُمْ»^(٢)، بل إنَّ الإمام
 الباقر ﷺ كان يميّز هذا الركن بفعله، فقد روى ولده الصادق ﷺ
 قائلاً: كنت أطوف مع أبي، وكان إذا انتهى إلى الحجر مسحه بيده وقبله،
 وإذا انتهى إلى الركن اليماني التزمه، فقلت: جعلت فداك تمسح الحجر
 بيدك، وتلتزم اليماني؟! .. فقال: قال رسول الله ﷺ: «مَا آتَيْتُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ
 إِلَّا وَجَدْتُ جَبْرئِيلَ قَدْ سَبَقَنِي إِلَيْهِ يَلْتَزِمُهُ»^(٣).

بل إنَّ النبي ﷺ عندما بلغ الركن اليماني، ذكر الفضل الإلهي في تنصيب
 أمير المؤمنين ﷺ إماماً للخلق داعياً له، فقد ورد أنه ﷺ رفع رأسه إلى

١. الكافي ج ٨، ص ٥٨٠.

٢. الكافي، ج ٨، ص ٥٥٧.

٣. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣٣٨.



أركان الحج

الكعبة ثم قال: «أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَكَ وَعَظَّمَكَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَنِي نَبِيًّا، وَجَعَلَ عَلَيَّ إِمَامًا أَلْهَمَهُ هِدَايَةَ خِيَارِ خَلْقِكَ، وَجَنَّبَهُ شِرَارَ خَلْقِكَ»^(١).

ولا عجب في أن يلهج النبي ﷺ هذا الدعاء في ركن انشق لفاطمة بنت أسد ؓ لتجعل وليد البيت فيها، وهو ما عبر عنه الأميني ؒ في موسوعة الغدير، أنه مما تسالم عليه الفريقان، وإليك ما رواه العباس بن عبد المطلب في هذا المجال: «لَمَّا تَكَلَّمَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ وَدَعَتْ بِهَذَا الدُّعَاءِ، رَأَيْنَا النَّبِيَّ قَدْ انْفَتَحَ مِنْ ظَهْرِهِ، وَدَخَلَتْ فَاطِمَةُ فِيهِ، وَغَابَتْ عَنْ أَبْصَارِنَا، ثُمَّ عَادَتْ الْفَتْحَةَ وَالتَّرَقَّتْ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَرُمْنَا أَنْ نَفْتَحَ الْبَابَ لِيَصِلَ إِلَيْهَا بَعْضُ نِسَائِنَا، فَلَمْ يَنْفَتِحِ الْبَابُ، فَعَلِمْنَا أَنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَقِيَتْ فَاطِمَةُ فِي الْبَيْتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. قَالَ: وَ أَهْلُ مَكَّةَ يَتَحَدَّثُونَ بِذَلِكَ فِي أَفْوَاهِ السَّكَّكِ، وَتَتَحَدَّثُ الْمُحَدَّرَاتُ فِي خُدُورِهِنَّ»^(٢).



اختيار الأفضل

٢٢- إن أبناء الدنيا يتفننون في اقتناء أجمل الأشياء وأغلاها، ولكن هموم أبناء الآخرة تتمثل فيما هو الأقرب إلى رضا ربهم، وبالتالي فيما يوجب لهم التزود بالزاد الأكبر لذلك السفر الطويل، ومصداقاً لذلك فإن الحاج وهو في المسجد الحرام يبحث عن أحب البقاع فيها، بعدما صار في أشرف البلاد وفي أشرف المساجد، وهو ما يذكره الإمام الصادق ؓ في جواب من سأله قائلاً: الصلّاة في الحرم كُلهِ سِوَاءٍ؟ فقال: «يَا أَبَا عُبَيْدَةَ!.. مَا الصَّلَاةُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كُلهِ سِوَاءٍ، فَكَيْفَ يَكُونُ فِي الْحَرَمِ كُلهِ سِوَاءٍ؟!.. قُلْتُ: فَأَيِّ

١. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٤٠.

٢. الأمالي (للطوسي)، ص ٧٠٧.

بقاعه أفضل؟!.. قال: ما بينَ البابِ إلى الحَجَرِ الأسودِ^(١) وهذا الموضع هو الذي يُعبر عنه بالحطيم أيضاً، حيث ذكره الصادق عليه السلام في رواية أخرى قائلاً: «إن تَهَيَّأَ لَكَ أَنْ تُصَلِّيَ صَلَوَاتِكَ كُلَّهَا، الْفَرَائِضَ وَغَيْرَهَا عِنْدَ الْحَطِيمِ فَافْعَلْ، فَإِنَّهُ أَفْضَلُ بَقْعَةٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ»^(٢).

بركة ماء زمزم

٢٣- إنَّ من الأمور التي اكتسبت الشرف لانتسابها إلى أصحاب الشرف، هو ماء زمزم الذي يجري تحت بيته الحرام إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى جعل المنَّة على عباده، بأن سقاهاهم مما سقاها ذبيحه إسماعيل عليه السلام وأُمَّه هاجر - تفضلاً منه وكرماً - فمن المناسب أن يستحضر الحاج هذه المباركة لماء زمزم، حيث جعل الله تعالى فيه خاصية الشفاء، فقد ورد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «مَاءٌ زَمَزَمَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ وَ أَمَانٌ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ»^(٣).

فعلى الحاج أن يطلب من ربه الشفاء، ببركة هذا الماء المقدس، حتى من أمراض الباطن حيث ذكر الإمام عليه السلام في الرواية السابقة أمراض الباطن من الخوف والحزن، والذي يبتلى بهما عامة الخلق، إلا من استثناهم القرآن الكريم من أوليائه.

ومن المناسب أن يصطحب الحاج هذا الماء المبارك معه إلى بلده، إهداءً للآخرين واستشفاءً به وقت الحاجة، ومما يؤيد ذلك ما رواه



أبرار الحج

التفصيل الثالث: الآداب الروحية في المسجد الحرام

١. وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٧٤.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٠٩.

٣. مكارم الاخلاق، ص ١٥٥.

الإمام الباقر عليه السلام حيث قال: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَسْتَهْدِي مَاءَ رَمَزِمَ وَ هُوَ بِالْمَدِينَةِ»^(١).

إتقان الصلاة في الحج

٢٤- إنَّ من صفات المؤمن التي لا تفارقه في سفر أو حضر، هو إتقانه لصلواته اليومية، لأنها تمثل قمة علاقة العبد مع ربه، ومن خلال الإقبال فيها يعلم العبد مدى قربيه من مولاه.. ومن هنا لزم عليه في موسم الحج أن يكون أكثر حرصًا على إتقان هذه الصلاة، قياسًا إلى غيرها من الأزمان، وخصوصًا في صلاة الطواف، حيث إنَّه يصلي خلف مقام أمر الله تعالى باتخاذ مصلى، والحال إنَّه قد فرغ من طوافه، بينما هو مشتمل بثوبي الإحرام، وكل ذلك متحقق في أيام الحج المباركة، فإذا لم يتقن صلاته في هذه الحالة فمتى يتقنها؟!..



أحكام الحج

وعليه أن يتذكر أن هناك جائزة كبرى تُعطى بعد صلاة الطواف مباشرة، فينبغي الحرص على أن لانفوته تلك الجائزة الكبرى - والتي تعطى كقدر متيقن لمن أقامها بشروطها - والمتمثلة بالخروج الكامل من الذنب، وهو ما بشر به الإمام الصادق عليه السلام قائلًا: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ، فَيُعْطِي قِسْمًا حَتَّى إِذَا أَتَى الْمُسْجِدَ الْحَرَامَ، طَافَ طَوَافَ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ عَدَلَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكٌ، فَيَقُومُ عَنْ بَسَارِهِ، فَإِذَا أَنْصَرَفَ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى كَتِفَيْهِ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَمَّا مَا مَضَى، فَقَدْ غُفِرَ لَكَ، وَ أَمَّا مَا يَسْتَقْبِلُ، فَجِدْ»^(٢).

١. وسائل الشيعه، ج ٢٥، ص ٢٦٢.

٢. وسائل الشيعه، ج ٨، ص ١٩٣.

ومما يهري العبد لصلاة خاشعة خلف المقام، أن يلهج حين طوافه بالصلاة على محمد وآله عليهم السلام فإنها من موجبات هدم الذنوب من ناحية، ونزول البركات على العبد من ناحية أخرى، وهذه الرواية تؤكد هذه الحقيقة حيث يقول الراوي: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: دخلت الطواف، فلم يفتح لي شيء من الدعاء، إلا الصلاة على محمد وآل محمد، وسعيت فكان ذلك، فقال عليه السلام: «مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِّنْ سَأَلٍ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ»^(١).

الطاف الإمام في المطاف

٢٥- إن المطاف والمقام والمسعى لمن المواضع التي هي في مظان تشريف الإمام المهدي عليه السلام لها، فمن المناسب أن يغلب على الحاج، الدعاء لفرجه بإلحاح وتوجه، لعلمه بأن هذه الغمة لا تنكشف عن هذه الأمة إلا بفرجه الشريف، فلعل دعاءه يصل إلى سمعه الشريف عن قرب فيدعوه عليه السلام له، وما من شك إن لاجتماع أدعية المؤمنين - وخاصة في الموسم - تأثيراً في تقديم الفرج؛ لأن البناء الإلهي على جعل هذا الفرج الشامل مرتبطاً بأسبابه من: الدعاء تارة، وتهيئة أسباب القوة تارة أخرى.

وإليكم عينة من عناياته بزائري البيت الحرام، ممن كان أهلاً لذلك، وهو ما نقله العلامة المجلسي رحمته الله في بحاره، وإن كانت هذه العناية لا تتحقق إلا للأوحد من العباد ممن لهم حظوة في هذا الميدان..: «فعن الحسن بن وحناء النصبي قال: كنت ساجداً تحت الميزاب في رابع أربع وخمسين حجة، بعد العتمة، وأنا أتضرع في الدعاء، إذ حركني محرك فقال: قم يا حسن بن وحناء!.. قال: فقممت فإذا جارية صفراء نحيفة البدن، أقول إنها

١. الكافي، ج ٨، ص ٥٧٢.



أخبار الحج

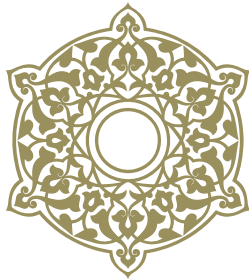
من أبناء أربعين فما فوقها، فمشيت بين يدي وأنا لا أسألها عن شيء، حتى أتت بي دار خديجة صلوات الله عليها، وفيها بيت بابه في وسط الحائط، وله درجه ساج يرتقى إليه.

فصعدت الجارية وجاءني النداء: اصعد يا حسن!.. فصعدت فوقفت بالباب، وقال لي صاحب الزمان عليه السلام: «يا حسن أترأى خفيت عليّ؟!.. والله ما من وقت في حجبك إلا وأنا معك فيه، ثم جعل يعد عليّ أوقاتي، فوقعت مغشيا على وجهي، فحسست بيده قد وقعت عليّ، فقممت فقال لي: يا حسن إلزم بالمدينة دار جعفر بن محمد، ولا يهمنك طعامك وشرابك، ولا ما يستر عورتك، ثم دفع إلي دفترا فيه دعاء الفرج وصلاة عليه، فقال: فبهذا فادع، وهكذا صل عليّ، ولا تعطه إلا محقي أوليائي، فإن الله جل جلاله موفّقك، فقلت: مولاي لا أراك بعدها؟!.. فقال: يا حسن إذا شاء الله»^(١).



الفصل الرابع:
الآداب الروحية في المناسك







أجزاء الحج

الفصل الرابع: الآداب الروحية في المناسك

الإكرام المتواصل

١- إنَّ الضيافة الإلهية في موسم الحج مما لا يمكن تعقلها، لأنَّ خزائن المضيف بين الكاف والنون، فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ومن هنا فلا بد من الحاج أن يرفع من مستوى طمعه، بعد ملاحظة هذا العطاء الذي لا حساب له، ومن المعلوم أن الكريم يُكرم في بيته كرامة لا يكرم بها خارجه، حيث إنَّ لكل قادم كرامة، ولولا أن الله تعالى يريد أن يكرم زائره كرامة خاصة، لما سهل له سبيل الوصول إلى تلك الديار المباركة!

والملاحظ في هذه الرواية النبوية، إنَّ كل موقف من مواقف الحج كافٍ لإخراج العبد من ذنوبه، فكيف إذا أتقن العبد نسكه في المواقع كلها، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «وإذا طاف بالبيت خرج من ذنوبه، وإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنوبه، وإذا وقف بعرفات خرج من ذنوبه، وإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنوبه، فإذا رمى الجمار خرج من ذنوبه،

فعد رسول الله ﷺ كذا وكذا موطناً، كلَّها تخرجه من ذنوبه، فأنتى لك أن تبلغ ما بلغ الحاج؟»^(١).

أعظم الناس جرماً

٢- يبلغ الإكرام الإلهي مداه في موسم الحج، وذلك عندما يقف الإنسان بعرفة، مقرا بالذنوب بين يدي ربه، وحينها تغمره الرحمة، بحيث يرجع من ذلك الوادي ولا ذنب له.. واللافت في هذا المجال أن الذي يشك في المغفرة بعد عرفة، فقد أوقع نفسه في الخطيئة الكبرى، فقد روي عن النبي أنه قال «أَعْظَمُ أَهْلِ عَرَفَاتٍ جُرْماً مَنْ أَنْصَرَفَ وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ»^(٢) حيث إنَّه استخف برحمة مولاه الذي لا يعقل الرجوع من فئاته بالخيبة والخذلان!.. ومن هنا لزم على الحاج، أن يبالغ في الدعاء في ذلك الموقف العظيم، ولا يجعل للشيطان على نفسه سبيلاً بكثرة الطعام والشراب، والحديث مع الغافلين.



التهيؤ ليوم عرفة

٣- إنَّ العبد الذي ليس له انس سابق بالدعاء والمناجاة والخلوة مع رب العالمين؛ فإنه قد يعيش شيئاً من الحرمان المعنوي في يوم عرفة، لأنه لا يرى شيئاً لافتاً في وجوده، فتراه يقرأ دعاء عرفة، ويسمع بكاء الآخرين وأنينهم، وهو يقف موقف المتفرج منهم، حيث إنَّ من الطبيعي أن لا

١. ثواب الاعمال وعقاب الاعمال، ص ٤٧.

٢. مستدرک الوسائل، ج ١٠، ص ٢٩.

يتحول تحولًا فجائيًا إلى عبد منيب، وذلك من خلال ساعة في عصر عرفة..

ومن هنا نقول إنَّه: لا بد من التهيؤ قبل الحج، وفي المدينة، وفي الميقات، و في الطريق إلى مكة، فمن لم يهئ نفسه في مرحلة سابقة على الموسم، عليه أن يهئ نفسه - ولو في الموسم - من أجل أن يأتي بعرفة متميزة.

ومن محفزات الهمة للحاج في هذا المجال، معرفته بأن الرحمة غامرة إلى درجة تشمل من لا يخطر بالبال، حيث يقول الرضا عليه السلام كما روي عنه: «يُعْفَرُ لِلْجَمِيعِ حَتَّىٰ إِنْ أَحَدَهُمْ لَوْ لَمْ يَعَاوِدْ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ مَا وَجَدَ شَيْءًا مِّمَّا قَدْ تَقَدَّمَ وَ كُلُّهُمْ مُعَاوِدٌ قَبْلَ الْخُرُوجِ مِنَ الْمَوْقِفِ»^(١) في إشارة لأهل الانحراف العقائدي.

شبه عرفة بليلة القدر

٤- إن هناك شبهًا بين عصر عرفة، وبين ليالي القدر، فليس من المتوقع أن يعيش الحاج إقبالًا مستمرًا من أول زوال عرفة إلى غروب الشمس، كما أن هذا الأمر أيضًا غير متوقع في ليالي القدر من المغرب إلى مطلع الفجر، ولكن لا بد أن يسعى ليحوز على تلك الساعة الذهبية، والتي نعني بها تلك اللحظة من الانقطاع إلى الله عز وجل، حيث يرق القلب وتجري الدمعة، فيعيش صاحبها حالة من الرهبة الباطنية، وقد يقشعر جلده؛ لأنها من آثار الذكر العميق كما ورد ذكره في القرآن الكريم؛ فعليه أن يستبقي هذه الحالة ولو بالخروج من خيمته - حيث لا يتميز حاج عن



أبواب الحج

الفصل الرابع: الآداب الروحية في المناسك

أخيه - إن كان الجو الجماعي يشغله ويذهله، ويسلبه الدمعة، ويحرجه أمام إخوانه.

وكم من الجميل أن يتوجه العبد إلى ربه في تلك الساعة المباركة، ليستنزل العفو الإلهي للذنوب التي لا تغفر إلا من خلال الوقوف في ذلك الموقف العظيم، فعن النبي ﷺ أنه قال: «وَمِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبٌ لَا تُغْفَرُ، إِلَّا بِعَرَاقَاتٍ»^(١).

التوجه لصاحب الأمر ﷺ

٥- إنَّ من أفضل الحالات التي يمكن أن يعيشها الحاج في عرفة - بعد الاستغفار والمناجاة و دعاء الحسين ﷺ - هو التوجه إلى صاحب الأمر ﷺ؛ لأنه يشهد الموسم بل هو أمير الحجاج، فمن اللازم أن يستشعر المؤمن قربه، وخاصة أن أضيق منطقة جغرافية تجمعنا معه هي أرض عرفة، وهي محدودة المعالم بعلامات بدءاً وانتهاءً، والحال أن الإمام ﷺ هو بين هذه الخيام، سواء قربت عنه أو بعدت!

فمن المناسب أن يجدد الحاج عهده بإمامه ﷺ بمشاعر مختلفة من: الخجل تارة؛ لأنه طالما آذاه بفعله وقوله، ومن الشوق إليه لأنَّ بفرجه يتم الفرج عن المنتظرين جميعاً، ومن الحزن لفراقه وطول زمان غيبته، فيحاول أن يبالح في الدعاء لفرجه، كما ورد عنه ﷺ: «وَ أَكْثِرُوا الدُّعَاءَ بِتَعْجِيلِ الْفَرَجِ فَإِنَّ ذَلِكَ فَرَجُكُمْ»^(٢).



١. مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٣٧.

٢. کمال الدین و تمام النعمه، ج ٢، ص ٤٨٥.

إِنَّ استحضار هذا المعنى أي تواجد صاحب العصر عليه السلام في هذه المواطن، لمن موجبات تذكره في كل خطوة، والدعاء له في كل موقف، وقد ذكر نائبه الخاص مُحَمَّدُ بْنُ عُمَانَ الْعَمْرِيِّ، تواجده في الموسم في كل عام، حيث قال: «والله!.. إِنَّ صَاحِبَ هَذَا الْأَمْرِ لِيَحْضُرُ الْمَوْسِمَ كُلَّ سَنَةٍ، يَرَى النَّاسَ وَيَعْرِفُهُمْ وَيَرَوْنَهُ وَلَا يَعْرِفُونَهُ»^(١) وقال في موضع آخر: «وَرَأَيْتُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فِي الْمُسْتَجَارِ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ انْتَقِمْ لِي مِنْ أَعْدَائِكَ!»^(٢).

اللحظات الأخيرة من عرفة

٦- إن من المناسب استغلال اللحظات الأخيرة من عصر عرفة، فكما أنه يمكن للإنسان المقصر في ليلة القدر، أن تُختم له بالسعادة في الساعة الأخيرة فيها، فكذلك الحاج فإنَّ بإمكانه أن يغتنم اللحظات الأخيرة من يوم عرفة قبل غروب الشمس، وخاصة إذا كان ممن يعاني من الإدبار طوال الوقت متأدياً مما هو فيه، فمن الممكن أن ينفجر عندها بدعاء بليغ، يعوّض ما قد خسرته طوال الوقت قبله.

ويفهم من الرواية أنَّ في هذه الساعة الأخيرة، كان النبي صلى الله عليه وآله يقف فيها موقفاً مميزاً، فقد روي أنَّه قد دعا النبي صلى الله عليه وآله يوم عرفة حين غابت الشمس، فكان آخر كلامه هذا الدعاء، وهملت عيناه بالبكاء ثم قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ، وَمِنْ تَشْتَّتِ الْأُمُورِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَصْبَحَ ذُلِّي مُسْتَجِيرًا بِعِزِّكَ، وَأَصْبَحَ وَجْهِي الْفَانِي مُسْتَجِيرًا بِوَجْهِكَ

١. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥٢٠.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٥٩.



أبراج الحج

التفصيل الرابع: الآداب الروحية في المناسك

الْبَاقِي، يَا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ، وَ أَجْوَدَ مَنْ أُعْطِيَ، وَ أَرْحَمَ مَنْ اسْتُرْحِمَ، جَلَّلَنِي بِرَحْمَتِكَ، وَ أَلْبَسَنِي عَافِيَتِكَ، وَ اصْرَفَ عَنِّي شَرَّ جَمِيعِ خَلْقِكَ»^(١).

حالة الحاج ليلة العيد

٧- من المفروض والمتوقع أن يكون الحاج في مزدلفة على أفضل حالة روحية، حيث إنه بعد إحياء يوم عرفة، صار أشبه بالصائم الذي خرج من شهر رمضان، حيث حظي بركات الضيافة الإلهية، ولكن هذا النور الذي اكتسبه في يوم عرفة، قد يفقده البعض ليلة العيد، والحال إنهما من الليالي المميزة التي قال عنها النبي ﷺ كما روي عنه: «يُعْجِبُنِي أَنْ يُفَرِّغَ الرَّجُلُ نَفْسَهُ فِي السَّنَةِ أَرْبَعَ لَيَالٍ لَيْلَةَ الْفِطْرِ وَ لَيْلَةَ الْأَضْحَى - وَ لَيْلَةَ النَّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ - وَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَجَبٍ»^(٢) والأوجه في المقام، أن يحرص الحاج على ليال ثلاث: «ليلة التروية، و ليلة عرفة، و ليلة العيد» فلعل إحياءها جميعا، هو المقتضي الأتم لأخذ الجائزة ليلة العيد.

فنرى بعض الحجاج يعيش حالة من حالات الدهول، بحثا عن المكان والطعام والشراب، ناسيا ما كان عليه قبل سويعات من الإقبال وهو في عرفات، والملاحظ بالوجدان أن ليلة العيد بالنسبة للحجاج، لمن الليالي التي يقل فيها الإقبال القلبي، حيث لا يرون فيها تميزا باطنيا، وقد يكون حال من هو خارج الموسم في تلك الليلة، أفضل من حالتهم فيها، ولعل ما يلاقيه الحاج من الاجهاد في يوم عرفة، وما يليه من النفر إلى مزدلفة من موجبات هذا الإدبار!.



١. بحار الانوار، ج ٩٦، ص ٢٥١.
٢. وسائل الشيعه، ج ٨، ص ١٠٩.

إراحة البدن في الحج

٨- إنَّ البعض من الحجاج قد يتعمد إرهاق نفسه في سفر الحج - توفيراً لشيء من المال - والحال بأنَّ كل ذلك قد يكون على حساب الإقبال والدعاء، والذي هو قوام الحج وخاصة في يوم عرفة، وهو ما يذكره الإمام الصادق عليه السلام في مقام ترجيح الركوب على المشي - ولو للبعض - وذلك من جهة توفير القوة للعبادة، فقد ذكر الراوي للإمام الصادق عليه السلام : إنَّا كنَّا نحج مشاةً فبلغنا عنك شيءٌ فما ترى؟.. قال عليه السلام : إنَّ النَّاسَ يَحْجُّونَ مشاةً ويركبون، قلت: ليس من ذلك أسألك، فقال عليه السلام : عن أي شيءٍ تسألني؟.. قلت: أيهما أحب إليك أن نصنع؟.. قال عليه السلام : «تركبون أحب إليّ، فإنَّ ذلك أقوى لكم على العبادة والدعاء»^(١)..



الحج

الفصل الرابع: الآداب الروحية في المناسك

وهو ما يستفاد أيضاً من عدم رجحان الصوم في يوم عرفة، لمن يضعفه ذلك عن الدعاء، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام : «كَانَ أَبِي لَا يَصُومُهُ قُلْتُ وَلِمَ ذَاكَ قَالَ إِنَّ يَوْمَ عَرَفَةَ يَوْمٌ دُعَاءٍ وَ مَسْأَلَةٍ وَ اتَّخَوْفُ أَنْ يُضْعِفَنِي عَنِ الدُّعَاءِ وَ أَكْرَهُ أَنْ أَصُومَهُ وَ اتَّخَوْفُ أَنْ يَكُونَ عَرَفَةُ يَوْمَ أَضْحَى فَلَيْسَ بِيَوْمِ صَوْمٍ»^(٢).

تعدي البركات للذرية

٩- إنَّ بركات الحج تتعدى للحاج لتشمل ذريته وإنْ حصلت له لاحقاً، فإنَّ الحاج - وخصوصاً مع الطلب - يُكرم في نفسه وفي عقبه، وهذا غاية الإكرام الإلهي لحجاج بيته الحرام؛ لأن ذلك مما يحقق له صدقة جارية

١. الكافي، ج ٩، ص ١٣.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٤٦٥.

بعد موته، وهذه العطية التي قد لا تخطر ببال الحاج، قد ذكرها الإمام السجاد عليه السلام عندما نظر يوم عرفة إلى قوم يسألون الناس فقال: «وَيَحْكُمُ أَعْيَرَ اللَّهِ تَسْأَلُونَ فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ؟! .. إِنَّهُ لَيُرْجَى فِي هَذَا الْيَوْمِ لِمَا فِي بُطُونِ الْحَبَالَى أَنْ يَكُونُوا سَعْدَاءَ»^(١).

انتقام الشياطين

١٠- من المناسب أن يستحضر الحاج عند رمي الجمرات هذه الحقيقة وهي: أن صراعه مع الشيطان صراع أبدي، وهو في موسم الحج يريد أن يظهر هذا العداء للشيطان ولأعدائه من خلال رميه الحصى، ولكن من الممكن أن يستهزأ الشيطان بالبعض عند الجمرات قائلاً: أنتم رميتموني بالحجارة، ولكن أنا أرميكم بالأهواء والشهوات، من خلال اتباع الخطوات التي تبعدكم عن رب العالمين!.. ومن المعلوم أن الشيطان يوم العيد، يضمّر هذه العداوة للحاج، لينتقم منه عندما يرجع إلى بلاده، ليصادر هذه المكتسبات التي اكتسبتها من خلال هذا السفر المبارك، كما يصادرها من البعض في أول يوم من أيام الفراغ من صيامه!

إنّ موقف الرمي قد لا يجد فيها الحاج بُعدا شعوريا متميزا، فترى البعض يقوم بحركة مادية بحتة، وجل همّه أن يتخلص من الحصيات التي في يده، ليخرج بعدها عن الإحرام، والحال أنّ التأمل في النصوص المتناولة لمنسك رمي الجمار، تشير إلى بُعد آخر خفيّ عن كثير منهم، ألا وهو النور



المكتسب من هذا المنسك، فعن النبي ﷺ: «إِذَا رَمَيْتَ الْجِمَارَ، كَانَ لَكَ نَوْرٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

درس الاستقامة والمواجهة

١١- إِنَّ التَّأَمُلَ فِي مَا جَرَى لِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مَعَ الشَّيْطَانِ عِنْدَ الْجُمَرَاتِ، يَفِيدُ دَرَسَ اسْتِقَامَةِ وَالتَّهَيُّؤَ لِمُوجَهَةِ الشَّيْطَانِ فِي كُلِّ مَرَاكِلِ الْحَيَاةِ، فَهُوَ لَمْ يَبْأَسْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَوْلَى الْعِزْمِ أَمْثَالَ إِبْرَاهِيمَ ﷺ وَلِهَذَا كَانَ يَبْذُلُ جَهْدَهُ فِي الْإِغْوَاءِ لَعَلَّهُ يَحْطِئُ مِنْهُمْ بِشَيْءٍ، وَلَكِنْ الْخَلِيلُ ﷺ كَانَ يَرْمِيهِ كَمَا بَرَزَ لَهُ مَعِيقًا لَهُ عَنِ إِيْتَامِ مَنْاسِكَه، فَكَانَ الْحِرْصُ مَشْتَرِكًا بَيْنَهُمَا، حَيْثُ حِرْصُ الْخَلِيلِ عَلَى الطَّاعَةِ وَحِرْصُ إِبْلِيسَ عَلَى الْغَوَايَةِ، وَهَذِهِ الْمُوجَهَةُ التَّارِيخِيَّةُ نَقَلَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ الْجِمَارَ إِنَّمَا رُمِيَ لِأَنَّ جَبْرَائِيلَ - حِينَ أَرَى إِبْرَاهِيمَ الْمُشَاعِرَ - بَرَزَ لَهُ إِبْلِيسُ، فَأَمَرَهُ جَبْرَائِيلُ أَنْ يَرْمِيَهُ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، فَدَخَلَ عِنْدَ الْجُمْرَةِ الْأُخْرَى تَحْتَ الْأَرْضِ فَأَمْسَكَ، ثُمَّ بَرَزَ لَهُ عِنْدَ الثَّانِيَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ أُخَرَ، فَدَخَلَ تَحْتَ الْأَرْضِ مَوْضِعَ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ إِنَّهُ بَرَزَ لَهُ فِي مَوْضِعِ الثَّلَاثَةِ فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ، فَدَخَلَ فِي مَوْضِعِهَا»^(٢).

ولقد بارك الله تعالى في هذا الموضوع كرامة لإبراهيم ﷺ حيث أثر فيه رضاه، وكرامة أيضا لآثري بيته الحرام الذين يظهرون البراءة لأعدائه، فجعل كفارة الكبائر متحققة في ضمن هذا المنسك - والذي يخلو عادة



أبواب الحج

التفصيل الرابع: الآداب الروحية في المناسك

١. الترغيب والترهيب، ج ٢، ص ٢٠٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٢٦٤.

من دعاء وتضرع- حيث ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في رمي الجمار: «لَهُ بِكُلِّ حَصَاةٍ يَرْمِي بِهَا، مُحَطُّ عَنْهُ كَبِيرَةٌ مُؤَبَّقَةٌ»^(١).

الغفلة في منى

١٢- إنَّ ليالي المبيت في منى، لمن الليالي التي لا يستثمرها الحاج كما هو حقه، حيث يتحول الأمر إلى مجرد بيتوتة خالية من المعاني المناسبة لها، وكان غاية الحاج فيها هو إسقاط التكليف، وخاصة أنه وصل إلى آخر الموسم، فيشتد شوقه للأهل والمال والولد... ومن هنا نرى فرقا - بما لا يقاس - بين أيام وقوفه في عرفة، وبين أيام مبيته في منى، فالمطلوب منه أن يُشغل نفسه بأنواع الذكر اللفظي والعملي، ويتحاشى الجلوس مع الغافلين، والانشغال بباطلهم؛ لأن هذا من مورثات القسوة، فليس كل من جاء للحج يستحق ان يكون من أهل للمعاشرة.

ومن المناسب أن يصغي الحاج المراقب لنفسه لنداء البشارة من صاحب هذه المشاعر المباركة، والذي يرعى ضيوفه مرحلة مرحلة، ومنها مبيتهم بمنى، وهو ما يكشف عنه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمِنَى نَادَى مُنَادٍ أَيُّهَا الْجُمُعُ!... لَوْ تَعَلَّمُونَ بِمَنْ أَحَلَّتْكُمْ، لَأَيَّقَنَّكُمْ بِالْمَغْفِرَةِ بَعْدَ الْحُلْفِ»^(٢).



١. الكافي، ج ٩، ص ٧٤.

٢. المحاسن، ج ١، ص ٦٦.

الفصل الخامس:
الأداب الروحية في المدينة







الهبات في المدينة

١- إن من الجفاء أن يذهب المؤمن إلى الحج والعمرة، ولا يتشرف بزيارة المصطفى ﷺ والأنمة من أهل بيته، كما أنه من الجفاء أن لا يزور قبر عمه سيد الشهداء عليّ عليه السلام وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ زَارَنِي حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١) كما روي عن علي عليه السلام: «أَتَمُّوا بِرَسُولِ اللَّهِ حَجَّكُمْ، إِذَا خَرَجْتُمْ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ»^(٢).

وهنيئاً لمن توفّق في زيارة بضعة الرسول ﷺ التي قيل في حقها: «المجهولة قدرًا، والمخفية قبرًا» فيزورها تارةً في الروضة، وتارةً في الحجرة المباركة، وتارةً في البقيع، فهب أنه ليس هنالك حرم مشيد وقبة شماء، ولكن ليدخل الزائر حرّمهم متأدّبًا، ولا ينظر إلى هذه الحجارة المتناثرة، بل ينظر إلى أرواحهم الصاعدة إلى المليك الأعلى، فإن أرواحهم واحدة، وطنيتهم واحدة، وقبورهم في القبور، وأسمائهم في الأسماء، ولا فرق

١. وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ٣٣٦.

٢. الخصال، ج ٢، ص ٦١٦.

بين مشاهدهم في هذه المزية، وهي أنه ما من ساعة إلا وفوج يهبط، وفوج يعرج!

ولو التفت الزائر إلى الهبات التي تصل إليه فيما لو زار بصدق وإخلاص، لانتابه العجب ولتأدب كثيرا في زيارته، وبالغ في اتقانها، فقد سئل الصادق عليه السلام ما لمن زار رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: «كَمَنْ زَارَ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ»^(١).

عادة الكرام

٢- جرت عادة كرام الدنيا أن يردوا زيارة الزائر لهم بأفضل منها، وخاصة إذا كانت تلك الزيارة محفوفة بشوق ولهفة، وحينئذ نقول: إنَّ زيارة النبي وآله عليهم السلام إنما هي زيارة لمن عادتهم الإحسان، وسجيتهم الكرم، وهم الرحمة الموصولة.. وعليه فليتوقع الزائر لهم، أن يردوا هذه الزيارة في موقف أحوج ما يكون الزائر لزيارتهم، فقد سأل الحسين عليه السلام جده قائلاً: يا أبتاه!.. ما جزاء من زارك؟.. فقال عليه السلام: «يَا بُنَيَّ، مَنْ زَارَنِي حَيًّا أَوْ مَيِّتًا، أَوْ زَارَ أَبَاكَ، أَوْ زَارَ أَخَاكَ، أَوْ زَارَكَ، كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أُزَوِّرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَ أُخَلِّصَهُ مِنْ ذُنُوبِهِ»^(٢).



١. ثواب الاعمال و عقاب الاعمال، ج ٨٥.

٢. الكافي، ج ٩، ص ٢٤٥.

حياتهم بعد الوفاة

٣- إننا نعتقد أنه لا فرق بين النبي ﷺ حيًا وميتًا، إلا كالفرق بين الراكب والراكب، فلو أن إنسانًا ساق دابته ثم ترجل عنها، فلا يقال إنه صار إنسانًا آخر حيث كان راكبًا، ثم صار مترجلًا!

وقياسًا صحيحًا نقول: إنَّ النبي ﷺ كان مع بدنه في هذه الحياة، وبدن النبي إنما هي دابته، وقد ترجل عنها بعد وفاته، وانتقل إلى مقعد الصدق عند المليك المقدر.. وعليه فإن روح النبي ﷺ تبقى ملتفة ومتوجهة إلى كل من يرد تلك البقعة الشريفة، فتنظر إلى حركات زائريه وسكناتهم، وما يقوله الزائر في زيارات الأئمة عليهم السلام يشير إلى تلك الحقيقة: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَقَدْتُ حُرْمَةَ صَاحِبِ هَذَا الْمَشْهَدِ الشَّرِيفِ فِي غَيْبَتِهِ، كَمَا أَعْتَقَدُهَا فِي حَضْرَتِهِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَكَ وَخُلَفَاءَكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَحْيَاءٌ عِنْدَكَ يُرْزُقُونَ، يَرُونَ مَقَامِي، وَ يَسْمَعُونَ كَلَامِي، وَ يَرُدُّونَ سَلَامِي، وَ أَنْتَ حَاجِبٌ عَنِّي سَمْعِي كَلَامَهُمْ، وَ فَتَحْتَ بَابَ فَهْمِي بِلَدِيدِ مُنَاجَاتِهِمْ»^(١).

وقد صرح النبي الأكرم ﷺ بهذه الحقيقة من خلال قوله: «مَنْ زَارَ قَبْرِي بَعْدَ مَوْتِي، كَانَ كَمَنْ هَاجَرَ إِلَيَّ فِي حَيَاتِي، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَابْعَثُوا إِلَيَّ السَّلَامَ، فَإِنَّهُ يَبْلُغُنِي»^(٢).

جلسة التأمل

٤- من المناسب أن يجلس الإنسان أمام قبر النبي ﷺ في الروضة جلسة تأملية بعد الزيارة والصلاة عنده، ويبالغ في الاستمداد منه، وكذلك عند

١. المصباح للكفعي، ص ٤٧٣.

٢. كامل الزيارات، ص ١٤.



قبور أولاده المعصومين عليه السلام فما عليه إلا أن يزيل الحجب عن نفسه، وذلك من خلال إزالة موانع القرب إلى الله تعالى، ومن أهمها حجاب المعاصي، فيجلس بين يدي نبي الرحمة صلى الله عليه وآله طالبا منه ما ورد في الخطاب الإلهي: ﴿ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴾^(١).. فهنيئاً لمن شملته هذه النظرة النبوية التي طالما استنقذت الهالكين من الردى، سواء في حياته أو بعد وفاته، وهو ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام عندما مر عليه جماعة من الحجاج فقال: «حَاجَّ بَيْتَ اللَّهِ، وَ زُوَّارُ قَبْرِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ شِيعَةُ آلِ مُحَمَّدٍ؛ هَنِيئًا لَكُمْ»^(٢).



دور أئمة أهل البيت

٥- إن المتأمل في تاريخ أئمة أهل البيت عليهم السلام يرى بأنهم لم يتركوا فرصة إلا وبيئوا فيها معالم الدين لهذه الأمة اليتيمة بعد فقد نبيها صلى الله عليه وآله والأعداء لم يكونوا يدعون الفرصة لأبواب علم النبي صلى الله عليه وآله أن يبتثوا هذه العلوم في أمة جدهم، ولكن ما إن تسنح الفرصة لذلك، فإنهم كانوا يستغلون تلك الفرصة أيما استغلال!..

ومنهم الإمام الباقر عليه السلام الذي عاش وابنه الإمام الصادق عليه السلام في مرحلة انتقالية بين دولتين ظالمتين، فانتشر منهما ما انتشر، وهذه الحقيقة يذكرها الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه قائلا: «وَ كَانَتِ الشَّيْعَةُ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ أَبُو جَعْفَرٍ، وَ هُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَنَاسِكَ حَجَّهِمْ، وَ حَلَالَهُمْ وَ حَرَامَهُمْ، حَتَّى كَانَ

١. النساء/٦٤.
٢. الكافي، ج ٩، ص ٢٤٧.

أَبُو جَعْفَرٍ، فَفَتَحَ لَهُمْ وَبَيَّنَ لَهُمْ مَنَاسِكَ حَجِّهِمْ، وَحَلَّاهُمْ وَحَرَّمَاهُمْ»^(١) كما ذكر ابوحنيفة النعمان بن ثابت الإمام الصادق عليه السلام: «لَوْ لَا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، مَا عَلِمَ النَّاسُ مَنَاسِكَ حَجِّهِمْ»^(٢).

ومن هنا فإنه عندما يزور الحاج مراقدهم الطاهرة في أرض البقيع، عليه أن يستذكر هذه الحقيقة مبينا شكره وتقديره لهم، ويتفاعل مع أصحابها بمستوى دورهم في هذه الأمة، وإن لم تعرف الناس قدرهم، كما نقرأ في زيارتهم: «أَشْهَدُ أَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ، وَصَبَرْتُمْ فِي ذَاتِ اللَّهِ، وَكُذِّبْتُمْ وَأَسِيءَ إِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ، وَأَشْهَدُ أَنَّكُمْ الْأَيْمَّةَ الرَّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ، وَأَنَّ طَاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ، وَأَنَّ قَوْلَكُمْ الصَّادِقُ، وَأَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ يُجَابُوا، وَأَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطَاعُوا»^(٣).

المواطن الأربعة للتخيير

٦- هنالك تناسب لافت بين المواطن الأربعة التي يخير فيها المصلي بين القصر والتمام وهي: مكة مركز (التوحيد)، والمدينة مركز (النبوة)، والكوفة مركز (الولاية)، وكرلاء مركز (الشهادة). فتظهر السنخية بينها من خلال أهم حركات العبد، ألا وهي الصلاة الخاشعة بين يدي الله تعالى في تلك المشاهد المباركة.. ولكن ليُعلم أيضا أنه لا ينبغي توقيف هذه المواطن في أوقات الصلاة فحسب، فمن تشرف للمكوث فيها فترة من الزمن - كما في موسم الحج والعمرة - فعليه أن يكون ملتزما بأداب الإقامة فيها في كل أوقاتها، لا في أوقات التواجد في الحرمين الشريفين فحسب..

١. مرآة العقول، ج ٧، ص ١١١.

٢. من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٥١٩.

٣. كامل الزيارات، ص ٥٤.



أبواب الحج

فالملاحظ إنَّ البعض تدركه رقة فيها، فإذا عاد إلى المنزل رجع إلى غفلته، والاسترسال فيما كان فيه من اللغو والمزاح الباطل!.

معالم المدينة

٧- إنَّ المدينة المنورة محفوفة بالذكريات والخالدة والمذكرة بالحبيب المصطفى ﷺ كما أنَّ مكة محفوفة بذكريات جده إبراهيم الخليل ﷺ فمن المناسب أن يتوجه إليهما الزائر مؤدياً حقها، كزيارة حمزة سيد الشهداء ﷺ الذي اشتد بكاء النبي ﷺ عليه، وكان ممن تزوره فاطمة ﷺ حيث تخرج يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع إلى زيارته وباقي شهداء أحد، فتصلي هناك وتدعو إلى أن توفيت، وكذلك زيارة من يُستحق زيارتهم في البقيع كأَم البنين ﷺ وعمات النبي وابنه إبراهيم، وفاطمة بنت أسد ﷺ وغيرهم.

كما أنَّه من المناسب أن يتشرف الزائر بزيارة أول مسجد صلى فيه النبي ﷺ وقد ورد ذكره في القرآن، وهو مسجد قباء والذي قال عنه النبي ﷺ: «مَنْ أَتَى مَسْجِدَ قَبَاءَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، رَجَعَ بِعُمْرَةٍ»^(١).



١. هداية الأمة إلى أحكام الأئمة عليهم السلام، ج ٥، ص ٤٦٧.

الفصل السادس:

آداب وتأمّلات في ختام الحج







أبراج الحج

الفصل السادس: آداب وتأملات في ختام الحج

استغلال الإجماع العظيم

١- إنَّ من نقاط التأمل في الحج، هي كيفية تحقق هذا الإجماع المبارك، فقوى الأرض جميعاً عاجزة - ولو بذلت ما بذلت - من أن تجمع الملايين في هذه البقعة التي لا جاذبية لها بحسب مظاهر الطبيعة، حيث البيئة الصحراوية القاسية مناخاً وارضاً، ولكن نلاحظ كيف تهفو النفوس، و يبذل أصحابها المال، استجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام قبل آلاف السنين.. ومن هنا ليحاول المؤمن أن يستغل هذا الإجماع: «نصيحةً لمسلم، أو أمراً بمعروف، أو نهياً عن المنكر، أو تقويةً للقلوب» وليتألف مع من معه من إخوانه في سفره إلى هذا المكان المبارك؛ تأسياً بأئمة الهدى عليهم السلام.

الهدية سنة مباركة

٢- إنَّ الهدية سنة حسنة، ولكن ليحذر الحاج من أن تكون هذه السنة المحبوبة لمولاه، شاغلة له عن وظائف العبودية في تلك الأيام التي تمر مرّ

السحاب.. وكم من القبيح أن يشتغل العبد بذلك، والمنادي ينادي «حي على الفلاح» وهو في بلد الصلاح والفلاح!

هذا من جهة الحاج، وأمّا من جهة من يلقاه الحاج، فعليه أيضا أن يقوم بوظائف العبودية في استقبال الحاج، و الذي رجع لتوه نقيًا من الأثام والذنوب، وهو ما بيّنه لنا أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «إِذَا قَدِمَ أَخُوكَ مِنْ مَكَّةَ، فَاقْبَلْ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَ فَاهُ الَّذِي قَبَّلَ بِهِ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ الَّذِي قَبَّلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَ الْعَيْنَ الَّتِي نَظَرَ بِهَا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَ قَبَّلَ مَوْضِعَ سُجُودِهِ وَ وَجْهِهِ، وَ إِذَا هَنَأْتُمُوهُ فَقُولُوا لَهُ: قَبَّلَ اللَّهُ نُسُكَكَ، وَ رَحِمَ سَعْيِكَ، وَ أَخْلَفَ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ، وَ لَا جَعَلَهُ آخِرَ عَهْدِكَ بِبَيْتِهِ الْحَرَامِ»^(١).

خدمة الحجاج

٣- من التوفيقات في الحج أن يكون الإنسان في خدمة إخوانه من حجاج بيته الحرام، ومن هذا المنطلق فإن أئمة الهدى عليهم السلام كانوا يخفون أنفسهم بين الحجاج، لئلا يحرّموا مثل هذا التوفيق في هذا السفر - خصوصا - فقد روي: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليهما السلام لَا يُسَافِرُ إِلَّا مَعَ رِفْقَةٍ لَا يَعْرِفُونَهُ، وَ يَشْتَرِطُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ خُدَّامِ الرَّفْقَةِ»^(٢) وإن كانت خدمة المسافرين مطلوبة - عموما - حيث روي عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَعَانَ مُؤْمِنًا مُسَافِرًا، فَرَجَّ اللَّهُ عَنْهُ ثَلَاثًا وَ سَبْعِينَ كُرْبَةً، وَ أَجَارَهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ مِنَ الْغَمِّ وَ الْهَمِّ، وَ نَفَسَ كُرْبَةَ الْعَظِيمِ يَوْمَ يَغْصُ النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ»^(٣).



١. الخصال، ج ٢، ص ٦٣٥.

٢. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٣٠.

٣. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٢٩.

ولا شك أنّ أية حركة في هذا السفر، فإنما هي مرتبطة بشأن من شؤون صاحب البيت، فلا ينبغي الاستخفاف بأي طاعة فلعلها هي المنجية؛ وذلك لأن المقصود في هذا السفر هو أكرم الأكرمين، وقد ورد عن الصادق عليه السلام التأكيد على تمييز ذلك الحاج، حيث يقول الراوي: فلما دخلنا المدينة اعتللت، وكان يمضي إلى المسجد ويدعني وحدي فشكوت ذلك إلى مصادف فأخبر به أبا عبد الله عليه السلام، فأرسل إلي: «قُعودُكَ عنْدَهُ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِكَ فِي الْمَسْجِدِ»^(١).

ومن الممكن - لمن لم يوفق لحج بيت ربه - أن يعوّض ذلك من خلال خدمة ذوي الحاج، وخصوصاً إذا كانوا ممن يحتاجون لمثل هذه الرعاية في غياب ولي أمرهم، وقد ورد عن الإمام السجاد أنه قال: «مَنْ خَلَفَ حَاجًّا فِي أَهْلِهِ وَ مَالِهِ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِهِ، حَتَّى كَأَنَّهُ يَسْتَلِمُ الْأَحْجَارَ»^(٢)، وقد جعل الإمام الصادق عليه السلام الحاج في مصاف الغازين في سبيل الله تعالى من جهة أنّ خدمتهما في غيبتهما من موجبات المشاركة في أجرهم، بل إنّ الرواية تذكر تعبيراً، فيه حثٌّ كثير على القيام بالخدمة من دون ذكر المصاديق، وذلك ليجتهد العبد في خدمة من تركه الحاج من الأهل والعيال، فقد ورد عنه عليه السلام أنه قال: «ثَلَاثَةٌ دَعَوْتُهُمْ مُسْتَجَابَةٌ: الْحَاجُّ، وَالْمُعْتَمِرُ، وَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلُقُونَهُمْ»^(٣).

وما دام الحديث حول المقارنة بين الغازي والحاج، فإن بعض النصوص تشير أيضاً إلى أنّ الحج جهاد الضعيف، بمعنى إن من لم يوفق للجهاد أو لم يكن له موضوع أصلاً في زمانه، فإنه من الممكن أن يعوض ذلك من

١. الكافي، ج ٩، ص ٢٣٧.

٢. المحاسن، ج ١، ص ٧٠.

٣. عده الداعي ونجاح الساعي، ص ١٢٦.



أحكام الحج

خلال الحج، ففيه بعض ما في الجهاد من تحمل بعض المكاره وخاصة في الأزمنة السابقة.

التأكيد على عنصر الإمامة

٤- إنَّ التأكيد على عنصر الإمامة واتباع حُماة لواء التوحيد، لا يكاد يفرغ منه موقف من مواقف الحج، فإن الحاج بعد الطواف مأمور بأن يتخذ من مقام إبراهيم عليه السلام مصلى، بمعنى أنه مأمور - وهو يريد مناجاة الرب - بأن يقف في ذلك الموقف الذي وقف فيه بطل التوحيد، متحديا طواغيت زمانه.. فالصلاة الزاكية هي ما كانت على موقع الإمامة والولاية.

وليُعلم هنا كما أنَّ ليلة القدر مرتبطة بالولاية، من جهة تنزل الملائكة على قلب الولي الأعظم عليه السلام في كل عصر، فيه فإن الحج أيضاً له علاقة بالإمامة، من جهة وجوده عليه السلام في موسم الحج، فهو أمير الحاج وأن يدرك هذا المعنى الكثيرون، ممن لم يدركوا هذا المعنى في ليلة القدر أيضاً!

وقد ذكر أئمة أهل البيت عليهم السلام هذه الحقيقة بألسنة مختلفة فمنها ما عن الباقر عليه السلام: «إِنَّمَا أُمِرَ النَّاسُ أَنْ يَأْتُوا هَذِهِ الْأَحْجَارَ، فَيَطُوفُوا بِهَا، ثُمَّ يَأْتُونَا، فَيُخْرِوْنَا بِوَلَايَتِهِمْ، وَيَعْرِضُوا عَلَيْنَا نَضْرَهُمْ»^(١) و في تعبير اخر عنه عليه السلام: «تَمَامُ الْحَجِّ، لِقَاءُ الْإِمَامِ»^(٢).



١. الكافي، ج ٩، ص ٢٤٦.

٢. الكافي، ج ٩، ص ٢٤٧.

بل إنَّ المغفرة الموعودة بها في الروايات، معلقة على تحقق هذه الحقيقة، وكانَّ من أهداف الحج هو التعرف على مقامات الإمام و الإمامة، فإن الحج لا يخلو من العلماء الواصلين إلى هذه المعرفة، وهو بدوره سبيل من سبل إيصال هذه المعرفة للآخرين، و الأمر كان أجلي في زمان الأئمة عليهم السلام حيث كانوا يحضرون الموسم، وتجتمع الناس اليهم، مما كان يثير بدوره حفيظة خلفاء الجور، وقد ورد في هذا السياق عن الصادق عليه السلام أنَّه قال: «مَنْ أَتَى الْكَعْبَةَ، فَعَرَفَ مِنْ حَقِّنَا وَ حُرْمَتِنَا، مَا عَرَفَ مِنْ حَقِّهَا وَ حُرْمَتِهَا، لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَكَّةَ إِلَّا وَ قَدْ غُفِرَ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَ كَفَّاهُ اللَّهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَ آخِرَتِهِ»^(١).

وليست من الصدفة أبداً أن يقترن البناء الظاهري للكعبة بالولاية أيضا، حيث مولد أمير المؤمنين عليه السلام فيها، لتكون ولادة لا سابقة لها ولا لاحقة طوال التاريخ، والشق الموجود في الركن اليماني شاهد صدق على هذه الحقيقة إلى الأبد!

ركنا الإثبات والنفي

٥- إنَّ الإسلام قائم على الولاية والبراءة، فكلمة «لا إله إلا الله» والتي نلقن بها الوليد بدء، والمحتضر ختما، فيها شقان: «لا إله» نفي وبراءة للشرك، ثم «إلا الله» ولاية وإثبات للتوحيد، والحج أيضا فيه هذان الشقان، فتارة نظهر الولاية عند استلام الحجر، وهو يمين الله في الأرض قائلين: «أَمَّا نَبِيِّ أَدْيَتِهَا، وَ مِيثَاقِي تَعَاهَدْتُهُ»^(٢) وتارة نظهر البراءة عند رمي الجمرات، فننبرأ

١. المحاسن، ج ١، ص ٦٩.

٢. الشافي في شرح الكافي، ج ١، ص ٢٥٠.



أركان الحج

من مظاهر الكفر والشرك برمي تلك العلامة التي ترمز إلى الشيطان الغوي، والذي بسببه انحرف المنحرفون طوال التاريخ!.

استغلال ساعة الوداع

٦- إنَّ من أفضل لحظات الترقى الروحي والانقطاع إلى الله عز وجل، هي ساعة وداع البيت، فإن الحاج من الممكن أن يعرف موقعه من رب العالمين من خلال مشاعر الوداع، فالذي يرغب للعودة سريعاً إلى بلده - وكأنَّه يرتاح من ثقل على ظهره - فإنَّه يُخشى عليه من الإدبار بعد الرجوع، ومن هنا يجب على المؤمن في ساعة الوداع، أن يعيش أعلى صور الحزن والحسرة، وذلك من جهة تقصيره أيام مقامه في هذا البلد الطاهر.

ومن المناسب أن ننقل هنا ما ذكره العلامة المجلسي في بحاره لمن أراد وداع البيت: «فإذا أردت وداع البيت فطف به أسبوعاً، ثم صل ركعتين حيث أحببت من المسجد، فائت الحطيم - والحطيم ما بين باب الكعبة والحجر - وتعلق بالأستار وأنت قائم فاحمد الله واثن عليه وصل على النبي صلى الله عليه وآله ثم قل: اللهم عبدك وابن عبدك وابن أمتك، حملته على دابتك، وسيرته في بلادك، وقد أقدمته المسجد الحرام، اللهم وقد كان في أملي ورجائي أن تغفر لي، فإن كنت يا رب قد فعلت فازدد عني رضا، وقربني إليك زلفى، فإن لم تكن فعلت يا رب فمن الآن فاغفر لي، قبل أن تنأى داري عن بيتك غير راغب عنه، ولا مستبدل به، هذا أو انصرافي إن كنت قد أذنت لي، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي، وتحتي ومن فوقتي، وعن يميني وعن شمالي، حتى تقدمني أهلي صالحاً، فإذا قدمني أهلي يا رب فلا تحرمني، واكفني مؤنة عيالي ومؤنة خلقك، فإذا بلغت باب الحنطين، فانظر إلى الكعبة وخر ساجداً،



واسأل الله أن يتقبله منك، ولا يجعله آخر العهد منك، ثم تقول وأنت ساجد:
أَتَّبُونَ تَائِبُونَ، لربنا حامدون، وإلى الله راغبون، وإلى الله راجعون، وصلى الله
على محمد وآله وسلم»^(١).

إبقاء الطهارة الباطنية

٧- إنَّ من الأشياء التي ينبغي أن يلح عليه الحاج في دعائه هو أن تبقي
معه هذه الطهارة الباطنية المكتسبة من الحج، فهو يرجع إلى وطنه كيوم
ولדתه أمه، ولكن هذه المزية الكبرى في الحج المقبول ليست لها ضمانَةٌ
أبدية وعليه فلا بد للحاج أن يحافظ على هذه الغرسة المباركة لتؤتي
أكلها كاملة، وذلك من خلال الاستقامة في حركة الحياة..

وكم من المناسب للحاج أن يودع عند البيت كل ما يشغله عن ربه، من
مباهج الدنيا وزينتها، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «وَدَّعْ مَا سِوَاهُ
بِطَوَافِ الْوُدَاعِ»^(٢) ويا لها من كلمة حاملة للكثير من المشاعر الباطنية!..
وهي التي لو حققها العبد في حياته، لكان من أسعد السعداء وهو معنى
الانقطاع إلى الله تعالى.

ولقد دلت بعض الأخبار على أنَّ الحاج يعيش أجواء الحج وبركاته حتى
بعد عودته من الحج، إذ عليه نور الحج ما لم يلم بذنوب^(٣)، كما ورد في
خبر الصادق عليه السلام: «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي حَدِّ الطَّوَافِ بِالْكَعْبَةِ مَا دَامَ حَلَقٌ



١. بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٧٣.

٢. بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ١٢٥.

٣. الكافي: ج ٤/ ص ٢٥٥.

الرَّأْسِ عَلَيْهِ»^(١) بمعنى أنه يعد طائفاً، ما دام آثار الحلق عليه بمنى باقياً عليه.

خير الأوسمة

٨- إن من ثمار الحج الكبرى أن يعود الإنسان من الحج في حالة من السكينة والطمأنينة، تبقى معه بعد رجوعه من الحج، وهذه علامة من علامات تميز حجه، فكما أنه بذكر الله تطمئن القلوب، فكذلك الأمر في الحج، حيث روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «الْحُجُّ تَسْكِينُ الْقُلُوبِ»^(٢) وعليه لا بد للحاج أن يعود بأوسمة دائمة، حيث إن من أهم آثار الضيافة الكاملة، أن يرجع الإنسان إلى وطنه بضيافة لا تفارقه، وقد جرت عادة السلاطين - بعد انتهاء الضيافة - أنها تعلق الأوسمة على صدور المميزين، فالضيافة انتهت، ولكن وسام الشرف يبقى إلى الأبد، حيث يفتخر به صاحبه.



وخير وسام يمكن أن يُعطى لزائر البيت، هو وسام الإحساس بالمعية الدائمة مع صاحب البيت، فيرى الله تعالى معه في كل تقلباته، كما كان متجلياً له في بعض مواقف الحج كالطواف والوقوف بعرفة، ومن المناسب أن نقول بأنَّ الحاج تتجدد عنده هذه المشاعر كلما توجه إلى القبلة في صلاته، حيث يستذكر ما كان عليه في هذا السفر المبارك.

ومن هذه الأوسمة ما جاء في هذا الخبر، حيث قال أحدهم لمن قدم من الحج: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يَسِّرَ سَبِيلَكَ، وَهَدَى دَلِيلَكَ، وَأَقْدَمَكَ بِحَالٍ عَافِيَةٍ، وَ

١. الكافي، ج ٩، ص ٢٤١.

٢. الأمالي (للطوسي)، ص ٢٩٦.

قَدْ قُضِيَ الْحُجُّ، وَأَعَانَ عَلَى السَّعَةِ، فَقَبِلَ اللَّهُ مِنْكَ، وَأَخْلَفَ عَلَيْكَ نَفَقَتَكَ، وَ جَعَلَهَا حَجَّةً مَبْرُورَةً، وَ لِدُنُوبِكَ طَهُورًا» فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ قُلْتَ لِصَدَقَةٍ؟!.. فَأَعَادَ عَلَيْهِ، فَقَالَ مَنْ عَلَّمَكَ هَذَا؟ فَقَالَ: جُعِلْتُ فِدَاكَ مُوَلَايَ أَبُو الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: نِعَمَ مَا تَعَلَّمْتَ»^(١).

الشوق للعودة

٩- إن من الأمور التي أكدت عليها الروايات، هو أن يعود الحاج من سفر الحج وهو ناوٍ للرجوع إليه - ولو من باب التلقين الذاتي - وإلا فإن من وصل إلى ملكوت الحج، وهو اللقاء الإلهي، فإن هذا الشوق ينقذ منه قهراً، إذ كيف لا يشفق المحبُّ العودة إلى ديار حبيبه، إن كان قد لاقاه فعلاً؟!..

وقد ذكرت الرواية بشارة وإنذاراً في هذا المجال، فقد روي عنه عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ فَلْيُؤَمِّمْ هَذَا الْبَيْتَ، وَ مَنْ رَجَعَ مِنْ مَكَّةَ وَ هُوَ يَنْوِي الْحُجَّ مِنْ قَابِلٍ، زِيدَ فِي عُمْرِهِ، وَ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَ لَا يَنْوِي الْعُودَ إِلَيْهَا، فَقَدْ قَرَّبَ أَجْلَهُ وَ دَنَا عَذَابُهُ»^(٢).

علامة القبول

١٠- إنَّ الكثيرين يتمنون علامة على قبول العمل - سواء في الحج أو غيره - فيتوقع علامة مادية متمثلة بأمر ظاهر للعيان، وقد يقنع بما لا يوجب له اليقين كمنام يراه، أو كلام من لا يُحتج بكلامه، والحال أنَّ الروايات بيَّنت



أبواب الحج

الفصل السادس: آداب وتأملات في ختام الحج

١. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ٤٤٧.

٢. وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٥١.

علامة واضحة للقبول، فلا داعي لتحرير العبد، وخاصة أن تحكيم هذه العلامة في آخر السفر، لمن موجبات الحرص على تهيئة موجباتها في أول السفر وحينه، فعن النبي ﷺ: «مِنْ عَلَامَةِ قَبُولِ الْحَجِّ، إِذَا رَجَعَ الرَّجُلُ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، هَذَا عَلَامَةٌ قَبُولِ الْحَجِّ، وَإِنْ رَجَعَ مِنَ الْحَجِّ، ثُمَّ انْهَمَكَ فِيهَا كَانَ مِنْ زِنَاءٍ أَوْ خِيَانَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ، فَقَدْ رُدَّ عَلَيْهِ حَجُّهُ»^(١).

المبادرة للمصافحة

١١- إنَّ الحاج الذي يرجع من الحج، لا بد له من الحرص على إبقاء مكاسب الحج بما أوتي من قوة، مراقبا لنفسه من أول يوم وروده إلى وطنه، وذلك لأن الزلة الأولى تستتبع الزلات القادمة، وهذا معنى اتباع خطوات الشيطان.. ومن هنا جعل الإمام السجاد عليه السلام الفرصة مغتنمة لمصافحة الحجاج أول ورودهم، قبل أن يفقدوا ذلك النور الذي اكتسبوه في الحج بشق الأنفس، حيث قال: «بَادِرُوا بِالسَّلَامِ عَلَى الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ وَ مَصَافِحَتِهِمْ، مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَالِطَهُمُ الذُّنُوبُ»^(٢) وحينئذ نقول: كم من المؤسف أن يفقد الحاج مثل هذه المنزلة العظيمة، بسبب ذنب ذهب لذته، وبقيت تبعته!



١. مستدرك الوسائل، ج ١٠، ص ١٦٦.

٢. الكافي، ج ٨، ص ١٨٨.

